العربي السفير
جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان
17
الخميس أول تشرين الثاني ٢٠١٢ ـ الموافق ١٦ ذي الحجة ١٤٣٣ هـ ـ العدد ١٢٣٢٣
AS-SAFIR Arabic political daily – November 1st, 2012

1
رأسمالية الإخوان المسلمين في مصر نيوليبرالية متوحشة، وإن كانت «متوضئة». وهم يوظفون المليارات خارج مصر، ويؤثِرون في الداخل المضاربات على أي استثمار تنموي.
2
تظهر خارطة القاعدة في اليمن أنها تقوى حيث تغيب خدمات الدولة. ولكن ذلك لا يفسر الأمر برمته، فقد استُخدمت القاعدة في التوظيف السياسي الداخلي، وفي ابتزاز الخارج.
3
الجوع مذل ومُحط للكرامة الإنسانية. محمد بن عزيز يرسم لوحة له من المغرب تقول ملامحه الموجعة، وتخلص إلى أنه «ليس هناك عار أقسى من الجوع».
4

السودان: قصة فشل معلَن

ظل السودان لسنين طويلة تعبيرا جغرافيا لوصف شعوب وأعراق عديدة سكنت الحيّز الممتد من البحر الأحمر حتى المحيط الأطلسي. ويؤرخ لبدايات الدولة بحدودها الإدارية مع غزو محمد علي للسودان عام ١٨٢١. وهذا يعني عدم اعتبار السلطنات السابقة مثل السلطنة الزرقاء («الفونج»، ١٥٠٤–١٨٢١) كيانات سياسية تستحق صفة الدولة. وكان التشكيل الثاني للدولة على يد القوى الاستعمارية، وفق اتفاقية الحكم الثنائي (بريطانيا ومصر) عام ١٨٩٩ والتي استمرت حتى الاستقلال عام ١٩٥٦ . السودان إذاً دولة «مستزرعة» من القوى الاستعمارية، وورثت كثيرا من المشكلات الخاصة بالحدود، والإدارة، والحكم. وقد لازمت أمراض النشأة الدولة السودانية حتى اليوم، ولم تُنجز أي قطيعة معها.

٥٦ جماعة و١١٥٠ لغة ولهجة

من أولى المشكلات هي كيفية حكم قطر شاسع ومتعدد الثقافات والأعراق. سؤال واجه الحكام منذ العهد التركي/المصري (١٨٢١–١٨٨٥) الذي تردد إداريوه بين المركزية واللامركزية. ويحتوي السودان الحالي على ٥٦ جماعة ذات أصول عرقية مختلفة، تنقسم بدورها إلى ٥٩٧ مجموعة إثنية وقبلية، وتتحدث أكثر من ١١٥٠ لغة ولهجة (أقرب إلى اللغة ولكنها غير مكتوبة). ومثّل الإسلام دين الأغلبية، تليه المسيحية بمذاهبها، ثم العديد من الأديان الإحيائية. وقد رعت الإدارة البريطانية هذا التعدد الثقافي، مستفيدة من التنوع القبلي لرسم سياسة الإدارة الأهلية (شيوخ القبائل). ويوحي هذا النظام بأنه يوزع السلطات على قاعدة واسعة، ولكن مديري المديريات يرأسون كل شيوخ القبائل، وترأس وزارات الحكومات بدورها كل المديرين، بطريقة مركزية.

الأمير بدلاً من الناظر

كان هدف الإدارة الاستعمارية منع أي تلاحم وطني مثل ذاك الذي خلقته الثورة المهدية (١٨٨٥–١٨٩٨). أما أحزاب الأمة والاتحادي التي حكمت بعد الاستقلال فقد كانت تخشى التغييرات السريعة والجذرية، لأن قواعدها تتشكل من اقتسام النفوذ بين القبائل. كان لكل حزب دوائر مقفلة على رأسها زعماء قبائل بعينهم. وتركّز نفوذ الحزب الاتحادي في قبائل الشمال والشرق، واقتسام الوسط (الشايقية، البجا، الجعليين). أما نفوذ حزب الأمة فقد تركز في غرب السودان والنيل الأبيض (الفور، الزيقات، الهبانية...). وكان النظام الانتخابي يقوم على أساس الدوائر الجغرافية وليس القوائم النسبية. ومن الملاحظ تطابق التقسيم القبلي مع الخريطة الجهوية والمناطقية. فالأرض في الريف السوداني كله تُقسم على أساس قبلي جماعي وليس فرديا، تسمى دار القبيلة. فكانت الدائرة الانتخابية الجغرافية خاصة بقبيلة بعينها. وقد احتفظت كل الحكومات الوطنية بنظام الإدارة الأهلية رغم أنه إرث إستعماري. وكان مطلب إلغائه بندا ثابتا في برامج القوى التقدمية. ولم يتم ذلك إلا بقرار «ثوري» من نظام النميري بعد انقلاب أيار/مايو١٩٦٩. ولكنه كان قراراً فوقياً، لذلك وجد مقاومة شديدة، فاستمرت الإدارة الأهلية واقعياً، وفاز شيوخ القبائل أنفسهم في كل انتخابات مجالس الشعب التي أجراها الاتحاد الاشتراكي. وحاولت السلطة الحالية إقامة نظام فدرالي يكون بديلاً لسلطة القبائل في الريف. لكن القبائل سيطرت على كل آليات بناء النظام الفدرالي، خاصة في اختيار الحكام وأعضاء المجالس الإقليمية. وفي نهاية الأمر، أعاد النظام الإدارة الأهلية رسمياً، مع أسلمة شكلانية. فقد أطلقت تسمية «أمير» على زعيم القبيلة عوضا عن شيخ أو ناظر!

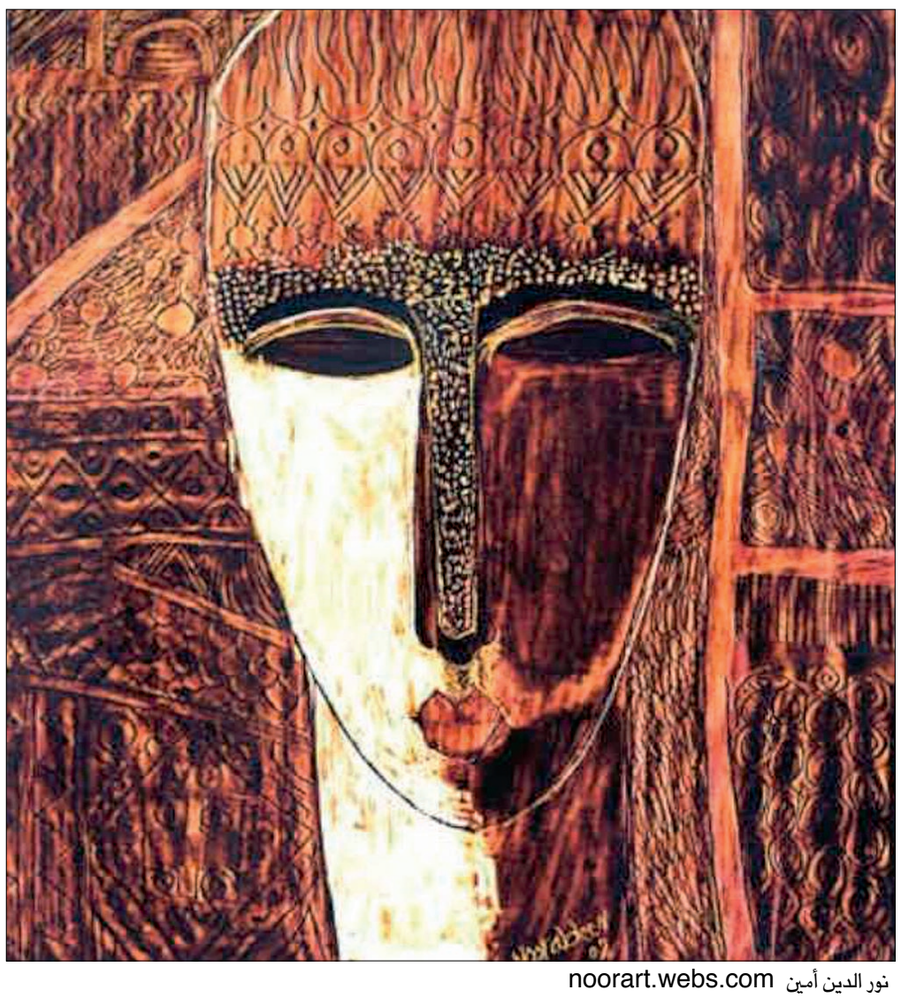
نور الدين أمين noorart.webs.com

أما الوجه الآخر للقبلية، فهي المجموعات التي اقتُلعت من أراضيها الأصلية، والتي اطلقت عليها الباحثة اليابانية كوريتا أسم «المُنْبَتين». وهي قبائل غير عربية/مسلمة في الجنوب، وجبال النوبة (جنوب كردفان)، وجنوب النيل الأزرق (الإنقسنا). وكانت كل هذه المجموعات مصدر تجارة الرقيق التي مارسها الجلابة (التجار العرب الشماليون) وبعض الأجانب. وأبناء هذه المناطق المتعلمون هم الذي أطلقوا دعوة الكفاح ضد التخليف وتهميش الجنوب – الغربي. ورفعوا السلاح مطالبين بإعادة تقسيم السلطة والثروة. وهم الذين بادروا بتكوين تحالف «كاودا» (منطقة في جنوب كردفان) وكونوا الآن «الجبهة الثورية».

تحالف القبيلة والطريقة

الإسلام الصوفي هو المكون الثاني للبنية الاجتماعية السودانية. وهو دخل السودان على شكل طرق صوفية أتت من الحجاز والمغرب ومصر. وكانت القادرية أول الطرق وفي الوقت نفسه أقلها تنظيما. لذلك انتشرت سريعا. وقد تكيّف الإسلام الذي حمله المتصوفة والتجار (وليس الفقهاء والعلماء)، مع الثقافات المحلية ولم يصطدم بها. لم تستهو الدراسات الفقهية والعلوم الدينية معظم السودانيين، بل انخرطوا في سلك المريدين. وأهم وأشهر الطرق الصوفية كانت تلك التي وظّفت الدين في السياسة. فقد عملت الإدارة البريطانية على استمالة رجال الطرق الصوفية، مثلما فعلت مع شيوخ القبائل. وكان الهدف من ذلك قطع الطريق أمام رجال دين قد يعيدون تجربة الثورة المهدية. ونجح البريطانيون في كسب ود نجل الإمام المهدي، السيد عبد الرحمن (١٨٨٥–١٩٥٩). فقد قدمت له الإدارة البريطانية كثيرا من التسهيلات لامتلاك الأراضي ولإبعاده عن السياسة، فانشغل في البداية بإدارة أعماله. لكنه استفاد من ثرائه في جذب المتخرجين لمجالسه، ثم كسْبهم في العمل السياسي لاحقا. وكوّن من «الأنصار» ومن بعض المتخرجين «حزب الأمة» في منتصف أربعينيات القرن الماضي. وكان منافسه اللدود السيد علي الميرغني (١٨٧٣– ١٩٦٨) زعيم الطائفة الختمية، وهي طريقة أسسها السيد محمد عثمان الختم (١٧٩٣–١٨٥٣). والتف مؤيدو الاتحاد مع مصر حول السيد علي، كمنافسين للإستقلاليين أصحاب شعار السودان للسودانيين، الذين احتضنهم السيد عبد الرحمن. وكونوا عددا من الأحزاب اندمجت في الحزب الوطني الإتحادي عام ١٩٥٣.

حكَم تحالف القبيلة والطائفة (الطريقة) الدينية حتى اليوم رغم كل التقلبات السياسية. وظلت الطرق الصوفية هي الأكثر استمرارا، ولم تنحسر مع توسع التعليم. فقد ظل معظم المتعلمين السودانيين يطوفون في الأيديولوجيات الجذرية ثم يعودون الى طريقة صوفية ما مع أزمة منتصف العمر. وقد ظهرت في الفترة الأخيرة ما يسمى طرق الأفندية الصوفية، مثل البرهانية، والشيخ البرعي. وحاول الإسلامويون الحاكمون مناهضة الصوفية بدعوى عدم نقاء إسلاميتها، ولكنهم في النهاية كونوا لها «أمانة الذكر والذاكرين»، ضمن حزب المؤتمر الوطني الحاكم. ومؤخراً تسبب هذا الانتشار الصوفي الواضح في صعود جماعات سلفية («أنصار السنة المحمدية» خاصة) كرد فعل بين الشباب المتعلم.

انقسام بين تقليدي وحديث

أطلقت القوى الحديثة تسمية الأحزاب الطائفية على هاتين القوتين السياسيتين. وشكّل المثقفون غير المنتمين لأحزاب الطريقتين ما أُصطلح على تسميته بـ«الأحزاب العقائدية». وهي تضم الشيوعيين، والأخوان المسلمين، والبعثيين، والناصريين، والقوميين. وهكذا ينقسم السودان في مجال السياسة بصورة واضحة إلى قوى حديثة وأخرى تقليدية. وهناك انقسام مشابه في الاقتصاد، فتكاد هذه الثنائية تميز مجمل الواقع السوداني، وتظهر في تفاصيل الحياة والعلاقات. نشأت القوى الحديثة كنتاج طبيعي لإدخال الإستعمار التعليم الحديث من خلال كلية غوردن التذكارية (١٩٠٢) والمدارس النظامية. وهذا التطور أسس لنوعين متعايشين من التعليم، المدني، والتقليدي الديني. وكان هدف الإدارة البريطانية من التعليم الحديث التزود بموظفين (أفندية) في المراتب الدنيا في جهاز الخدمة المدنية... لتقليل نفقات الاستعمار بالإضافة لتجنب الاحتكاك المباشر مع المواطنين العاديين. ولكن دور طبقة الأفندية الجديدة لم يقف عند هذا الحد، وهو تناقض مع الاستعمار من داخل نظامه وسياسته. فستقود هذه الفئة النضال ضده، لأن التعليم الحديث سلاح. وهي أنشأت «مؤتمر المتخرجين» عام ١٩٣٨ كجبهة عريضة تجمع المتعلمين الساعين لإنهاء الوجود الإستعماري. وعند قيام الأحزاب السياسية، ظهر لأغلب المتخرجين ضعف قاعدتهم الجماهيرية، واقتصارهم على مناطق محددة داخل المدن والمراكز الحضرية، وفي قطاعات ضيقة. واضطر كثيرون منهم للتعاون مع السيدين والطائفتين بحثا عن السند الجماهيري، بينما شذت جماعات قليلة هي التي كوّنت الأحزاب العقائدية وشكلت بالتحديد اليسار بالمعنى الواسع، أي الإتجاه نحو دولة ومجتمع حديثين. ثم ابتكرت هذه القوى وسائل جديدة لبناء قواعدها الشعبية، فاهتمت بالمجتمع المدني وأسست النقابات والاتحادات المهنية، والتنظيمات الطوعية. وكان الحزب الشيوعي السوداني (١٩٤٦) قد نشط في مدينة «عطبرة» مركز السكك الحديدية في السودان، والتي تضم أكبر تجمع للعمال، مع تكوين «هيئة شؤون عمال السكك الحديدية»، أول نقابة لعمال السكة حديد (١٩٤٨). وتتالت مع نهاية الأربعينيات اتحادات المزارعين، والشباب، والمرأة... وفي الفترة نفسها بدأ الإخوان المسلمون يظهرون في السودان.

انقلاب وتحولات اجتماعية

تغيرت البنية الاجتماعية في السودان خلال الفترة الممتدة منذ إنقلاب الحركة الإسلامية في ٣٠ حزيران/ يونيو١٩٨٩ وحتى اليوم. ورغم قصر الفترة الزمنية، إلا أن النظام إتخذ من القرارات ما سرّع التحولات إرادياً. فقد أنشأ «وزارة التخطيط الاجتماعي» (وليس الاقتصادي!) استراتيجيتها المعلنة هي «إعادة صياغة الإنسان الاجتماعي». وكان لسياسة الخصخصة، بالإضافة لإستمرار الحرب الأهلية والنزاعات الإقليمية، أثرها العميق في خلخلة البنية الاجتماعية، لأنها فاقمت الإفقار وزادت الهجرة والنزوح. وصارت العاصمة المثلثة مطوقة بالعشوائيات وأحياء الصفيح، كما أن ترييف المدن التي تغيب عنها الخدمات الأساسية مثل الماء والكهرباء صار السمة الغالبة. وانتشرت الجريمة وظواهر اجتماعية جديدة مثل الأطفال اللقطاء. حصل ذلك في ظل نظام «إسلامي» يشعر بالحرج الشديد حين يأتي الحديث عن «أطفال المايقوما»، وهو المكان الذي يودعون فيه في جنوب الخرطوم.

اقتصاد رأسمالي ـ تابع أم إسلامي؟

أدت الخصخصة الموجهة من قبل الدولة إلى ظهور فئات طفيلية مستفزة الثراء. كانت الزراعة تمثل القطاع الرئيسي للاقتصاد السوداني، وسميت البلاد «سلة غذاء العالم»، حيث يتوافر حوالي ٨٤ مليون هكتار تتميز بالخصوبة وقلة العوائق الطبيعية، لم يستغل منها سوى ١٨ مليون هكتار. إذ تفضل الفئات الطفيلية الجديدة المضاربة في الأراضي والعقارات، بالإضافة لتجارة العملة. وقد فُتح الباب لمستثمرين أجانب يهمهم الربح السريع، لإقامة مشاريع، مثل مدينة ملاهي «دريم لاند» مكان أراض زراعية خصبة في الجزيرة. ووجد الحزب الشيوعي صعوبة في تحديد نوع علاقات الانتاج في القطاع الزراعي، فأطلق عليها تسمية ملتبسة: «علاقات شبه الإقطاع»! فالصراع هنا لا يدور حول الملكية بل حول تمويل العملية الزراعية الإنتاجية. وهذا ما لم توفره الدولة. ويلجأ أثرياء الريف الي نظام «الشيل» حيث يشتري التجار المحصول قبل حصاده بأسعار متدنية مستغلين حاجة المزارعين للسيولة.

للدولة السودانية، رغم هشاشتها، دور محوري وحاسم في التطور الاقتصادي والتطور الاجتماعي، لضعف الرأسمالية الوطنية التي لا تعمل باستقلالية عن القطاع العام المملوك للدولة. وابتكر النظام فكرة «الشركات الحكومية» التي استمرت رغم خسائرها لاعتمادها على القروض الميتة من البنوك. أما وزارة «التخطيط الاجتماعي» فتدخلت في الحياة الاجتماعية والثقافية للفرد والجماعات من خلال التنظيمات الرسمية وغير الرسمية التي تقوم بمهام الضبط الاجتماعي. لم يوظف السودان جيدا موقعه الاستراتيجي ولا موارده الكامنة بسبب عجزه عن تحقيق الاستقرار السياسي، بينما الحديث عن «الاستهداف» هو للاستهلاك المحلي ولتبرير القمع الداخلي، سيما وأن أجهزة الأمن السودانية تعاونت بلا حدود مع الأجهزة الأمنية الغربية في «مكافحة الإرهاب» بالذات، بدءا من تسليم «كارلوس» إلى بروتوكولات التعاون مع وكالة الاستخبارات الأمريكية.

انتهى الأمر بالسودان إلى بنية اجتماعية هجينة يرى فيها النظام تكريسا لسلطته بعد تفكيك القوى الحديثة المعارضة، وتعطيل بروز طبقة وسطى. وهو تخلى عن استراتيجيته المعلنة المتمثلة في «المشروع الحضاري لربع قرن»، ولم يعد يتحدث عنها. وصار يحكم متمحوراً حول الحفاظ على السلطة كغاية بذاتها، وبطريقة تجار التجزئة.

حيدر إبراهيم علي
أستاذ العلوم السياسية في جامعة الخرطوم

العنف المادي والافتراضي والإحباط

في بداية أيلول/ سبتمبر ٢٠١٢، جرت مقابلة بين منتخبي ليبيا والجزائر في الدار البيضاء بالمغرب. لعب الليبيون بخشونة. هذا ما تعلموه من القذافي. وحين خسروا اعتبروا ذلك إهانة. فما ان توقفوا عن ركل الكرة حتى شرعوا في ركل الجزائريين، وهذا ما تكرر في لقاء الإياب بالجزائر. في مصر، قُتل ٧٤ شخصا في ملعب بور سعيد، وقد سُمّوا شهداء الكرة قياسا على شهداء الثورة. واضح أن العنف في ليبيا ومصر لم يرحل مع القذافي ومبارك.

في المغرب، تنشأ ساحة حرب في الملعب قبل المباراة وخلالها. يتبادل أنصار الفريقين السبّ والشتم. بعد صفارة الحكَم تجري حرب حقيقية في الشوارع. جمهور من مراهقين، أعمارهم بين ١٤ و١٨ سنة، قدموا من أحياء فقيرة، يجتاحون وسط المدينة. تلك فرصتهم للتواجد في الواجهة. ليسوا على صلة بأي شكل تنظيمي. يتبادلون القصف بالحجارة. في شباط/ فبراير ٢٠١٢ بمدينة أغادير، ألقي القبض على أكثر من ٥٥ شخصا من بينهم ٣٨ قاصرا. وهناك من يقتل دهسا أثناء معارك الكر والفر في الملاعب وفي الشوارع. تحولت الرياضة من وسيلة ترفيهية إلى أداة قتل.

وحين يكسر الجمهور الكراسي ويخرب المدرجات، يفتخر الكاسرون بالإنجاز لأنهم سببوا خسائر للدولة. لم يخطر ببالهم أن الدولة والمقاعد ملْك لهم.

في مباريات حساسة طائفياً في لبنان، يُمنع ببساطة حضور الجمهور! ومع ذلك تتوالى أعمال العنف والشغب داخل الملاعب. تبدأ بالتحريض على الحقد والكراهية، وبعدها يتم اقتحام أرضية الملعب مع حمل أدوات ومواد تيسر ارتكاب العنف، ومع وجود سكر أو تحشيش. يقع هذا مرارا، ولن يُعدم السبب: شخص ما استفز القطيع، رجل أمن أو حكَم أو لاعب.

لوقف هذا شرعت الدولة في المغرب في بناء ملاعب في الضواحي البعيدة. في مدن عديدة من المنطقة برمتها تندلع حرب داحس والغبراء أسبوعيا بين ناديين متنافسين. صارت المقابلات ميزاناً لقياس مزاج الشعب عمليا، مزاج يتجسد في سلوك متفرج يعرّف نفسه باسم ناديه، يعرف نفسه بهويّة تتجسد في التماهي مع فريق كرة. هوية حادة صلبة كدبوس تدمي كل من يقترب منها.

وهذا وجه آخر لانقسامات مجتمع ما قبل الدولة، حيث تمارس الرياضة بمنطق القبيلة الذي لا يقبل الهزيمة. المطلوب أن تنتصر القبيلتان معاً أو تتعادلا، ليسود منطق لا غالب لا مغلوب، وهذا ليس مضمونا في كرة القدم. وحتى هذا لا يرضي أيا من أنصار الفريقين، فلا بد من غلبة.

يجري التخفيف من أثر عنف الملاعب بدعوى أنه من فعل المراهقين. لكن للكبار أيضا عنفهم، وهو يغذي الأول. فعلى الشاشة التي أمامك عنف من نوع آخر، سواء كان الأمر يتعلق بمنبر إعلامي محترف أو بصفحات مواقع التواصل الاجتماعي. سيعتبر المعلقون الليبيون على مقال يتناول ليبيا نشرته «السفير العربي» أن السطر الأول غير صحيح، أو الصورة المختارة التي تمثل ليبيين فقراء وسود البشرة غير لائقة ولا تشبههم. تأخذهم العزة بالإثم. تقسو التعليقات إذا كان المنبر يتجاوز حدود البلد الوحد. في هذه الحالة يظن القارئ العربي أن الكتابة عن بلده حكر على كتّاب البلد، وحكر على منبر البلد نفسه. فمثلا وحدها الصحف السعودية يحق لها الحديث عن السعودية. بل وحده الكاتب الجزائري المقيم في البلد يحق له الحديث عن الجزائر. لكن ما ان يكتب باحث عن بلده في منبر أجنبي ويجد بعض القراء ما لا يعجبهم، يشتمونه لأنه قدّم صورة غير مشرّفة للبلد، يتأسفون لأن ابن البلد وشى بنا، إذاً فهو خائن.

أما إذا كتب باحث أو صحافي أجنبي عن البلد، حتى لو كان ما ذكره صحيحا موثقا، فذلك يثير الغضب ويسمى تطفلا، ولا يمكن أن يكون دافعه إلا الحسد، إن كان البلد المكتوب عنه غنيا. والشماتة إذا كان البلد موضوع المقال فقيرا. فكل كاتب غير سعودي تحدث عن السعودية حسود. وكل من تحدث عن تفكك العراق شامت. وكل من سخر من تقسيم فلسطين بين فتح وحماس عميل. أما إذا كتب صحافي مهاجر عن بلد الاستقبال فيقال له: لمَ لمْ تبقَ في بلدك؟ وحين يوصف كاتب بأنه علماني فالمقصود أنه كافر. إذا كان الموضوع مكتوبا من طرف امرأة، يتراجع التصنيف السياسي لمصلحة الأوصاف الجنسية، وتغدو فريسة لذيذة لذئاب «النت»...وإن كانت مسيحية، فهي مأجورة للغرب، وإن كانت شيعية تصبح رافضية «ممارسة للمتعة» تستحق الرجم حتى الموت.

في كل هذه الحالات من العنف، يتأمل المعلقون صورة كاتب المقال ويستنبطون شتائم تمس لونه وشكل وجهه وصلعته وحزبه أو طائفته.

عادة يُشتم الكتاب كلما خالف المكتوب الصورة المتخيلة عن النفس لدى المعلق. يُحقر الكاتب ويصغر للحد من تأثير كتاباته. هذه التعليقات هي قمع شعبي يولد رقابة قسرية تردع الكتّاب. والنتيجة أن المقالات تصير إنشائية والموضوعات تتسطح لأن الكاتب يخشى على قول ما في فكره، ويمرر الأفكار مغلفة بألف احتياط.

ثم نكتشف كل يوم «الجيوش الإلكترونية» المجندة للدفاع عن أنظمتها على «النت». ويبدو أن الجيشين السعودي والسوري في مقدمة الجبهة العنكبوتية، ولكن الجيش الجزائري فعال أيضاً. جيوش مسلحة هي الأخرى بعنف لفظي، طائفي وجنسي، لا يختلف عن ذاك الذي يستخدمه جمهور الكرة. لذا يبدو عنف أفراد هذه الجيوش مألوفاً معتاداً، لا يثير الريبة. فالجامع بين حالات العنف تلك كلها هو المساس بالآخر، كرامته، لونه، وطائفته. ويتم ذلك مع نفي الصفة الجرمية عن الفعلة، وهي التي تنطبق على أنواع العنف الأخرى مثل السرقة والقتل والاغتصاب. ففي مقابلة بين فريقين محليين تستعر المناطقية البغيضة. وفي المقابلات بين البلدان (العربية!) تستعر وطنية جوفاء مريضة. أما من كان آخراً مذهبياً أو طائفياً، فالويل له. العنف جزء من الهوية، فالثقافة الشعبية تكره الضعف، تؤنثه وتحتقره. لذا ينزع الأفراد لإظهار قوتهم بإنتاج العنف اللفظي والبدني، في الملعب وعلى «النت». وهذا يمتّع الوعي الجمعي. الدليل؟ لا تحظى الصفحات التي تنقصها الشتائم بـ«لايكات» كثيرة وبمتابعة كثيفة على مواقع التواصل الاجتماعي. كما تحظى المقالات التي تخص بلداناً يستعر فيها صراع ذو ملامح طائفية بأعلى نسبة قراءة على الاطلاق.

وهكذا يصبح أي شيء، مقالة أو مباراة رياضية، بدلاً عن ضائع للتوترات المعبِّرة عن عصبيات. ربما كانت هذه الممارسة دفاعية رغم مظهرها الهجومي المجنون، وربما كانت تستر على مقدار هائل من الإحباط وعدم الرضا عن النفس.

لكن، كيف والحال تلك ننتج معرفة؟ بل حتى تسليات (على سبيل المثال) تعزز الصفة المجتمعية لأي جماعة تتقاسم السكن والعيش في مكان واحد، بكل ما يعني ذلك من تفاصيل. كيف نؤسس للتمدن؟

سؤال قديم نعود إليه اليوم! وننتظر آراءكم وتعليقاتكم وتجاربكم في المجال.

إعداد «السفير العربي»
اكتبوا لنا على
arabi@assafir.com

زكي خميس

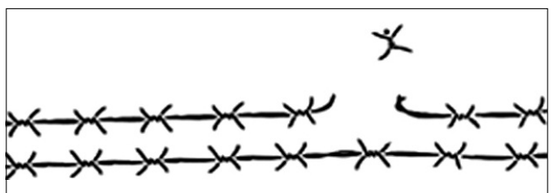

راديكالية أم عماء؟

انهارت الهدنة التي اقترحها الموفد الدولي والعربي إلى سوريا، السيد الابراهيمي، بعد ساعات قليلة مما بدا هدوءا في اليوم الأول من العيد. واستعادت الطائرات والمدفعية نشاطها من جهة السلطة، وكذلك العمليات القتالية للمجموعات المسلحة من الجهة المقابلة. والملفت هو تفنن الناطقين باسم المعارضة المسلحة الأعلى صوتاً في البرهان على استحالة الهدنة، وعلى ضرورة اعتراف الإبراهيمي بفشله وعجزه، ومطالبته بالاستقالة، حتى كادوا يطلقون شعار «ارحل يا إبراهيمي». وبالمناسبة، أكدوا على نيتهم إسقاط كل آلية سياسية تخص البلاد بوصفها وهماً خالصاً، محكِمين بذا من جهتهم الطوق على رقاب سوريا، محاكين منطق السلطة الذي يعلن أن الخيار هو استمرار حكم الأسد أو الدمار التام.

اشد المفارقات بهذا الخصوص تعود إلى اختلاف القدرة على ارتكاب العنف الدموي بين الطرفين. فهما لا يتساويان في إمكانات القتل والدمار، حتى عندما تلجأ المجموعات المسلحة إلى العبوات المفخخة وسط الأحياء السكنية. ولكن ذلك لا يعني سوى القليل. فما يساوي بين العنفين هو التشبث سياسياً بالحل العسكري أو بالحل الأمني، بالقتال وسيلة نهائية لحسم الأمور. هو الواقع؟ إذ لا يوجد حل سياسي حالياً، ولا في الأفق. ولكن هذا أيضا لا يعني سوى القليل. وللإيضاح، هاكم مثالاً متطرفاً: يقع على عاتق حركة التحرر الوطني الفلسطيني، التي تقاتل من أجل وجود شعبها وحقوقه، أن تصوغ في الوقت نفسه معادلة الحل النهائي للقضية. شكله وأصله وفصله وآليات تحقيقه. ولا يُتوقع ذلك من إسرائيل، لأن هذا الفعل منافٍ لها. يتجاوزها تعريفاً. وحين لا تفي حركة التحرر الوطني الفلسطيني بهذه المهمة تفشل، أو تحصل على نتائج محدودة وآنية. وعلى الرغم من كل الفروقات، ينطبق الأمر نفسه على حركات التغيير الثوري.

...قد يكون الإبراهيمي فاشلاً أو عاجزاً، لا يمكن التعويل عليه. ولكن المنطق البديل ليس «قاتل أو مقتول». فهذا لا نهاية مطاف له.

نهلة الشهال

العربي السفير

ملف

الاستاد الوطني في موقديشو سيعود لاستضافة مباريات كرة القدم في كانون الأول المقبل، الموعد المقرر لتغادره قوات حفظ السلام التابعة للاتحاد الأفريقي (أميسوم). الملعب المشيد في العام ١٩٧٨، كان أحد أكبر وأجمل الملاعب العربية والأفريقية، وتحوّل إلى ثكنة استخدمها منذ اندلاع الحرب عام ١٩٩١ الجيش الاثيوبي ثم ميليشيات حركة «الشباب» فقوات «أميسوم».

القاعدة.. أفكار مسلحة يدعمها غياب الدولة في اليمن

لا يبدو أن الحرب بين الحكومة اليمنية المدعومة بطائرات أميركية من دون طيار وبين تنظيم القاعدة ستضع أوزارها في زمن وجيز. في ١٨ تشرين الاول / اكتوبر الماضي، حاصرت القوات الحكومية واللجان الشعبية مجموعة من مسلحي القاعدة في منطقة الجبلين في محافظة أبين جنوبي اليمن، ما أدى إلى مصرع تسعة من مسلحي القاعدة بمن فيهم القيادي في التنظيم ناصر الشدادي. وفي اليوم التالي اقتحم مسلحون من تنظيم القاعدة معسكر اللواء ١١٥ مشاة، الواقع في منطقة شقرة في المحافظة نفسها، ما أدى إلى مقتل ١٨ عسكرياً وإصابة آخرين، إضافة إلى مقتل مسلحين من مقاتلي التنظيم. وتبدو هذه الصورة متكررة لحرب عسكرية تواجه أفكاراً مفخخة.

وتنظيم القاعدة واحد من عوائق متينة تقف في طريق ثورة التغيير في اليمن. وهي عوائق إن لم تستطع وقف مد الثورة، فإنها تضع العراقيل أمام بناء دولة مدنية، حديثة وديموقراطية، أو هي تبطئ الوصول اليها. فعدا مشكلات اليمن الاقتصادية، سواء منها تلك البنيوية أو الاخرى المتراكمة عبر العقود بسبب الاهمال والفساد (ما لا يحيلها قدراً غير قابل للتجاوز)، هناك صعيد سياسي، وهو بمعنى ما إرادي أو من فعل البشر أنفسهم مباشرة، وهو يلعب دوراً حاسماً اليوم في قطع الطريق أمام الاحتمالات الإيجابية. ويقف على رأس ذلك استمرار سيطرة نجل الرئيس المخلوع على جزء مهم من الجيش، هو الحرس الجمهوري، واستمرار تخريب أبراج الكهرباء وأنابيب النفط والغاز، وإثارة الفوضى المسلحة.

نشأة القاعدة في اليمن

بعيداً عن الجدل بشأن تاريخ وكيفية بروز اسم «القاعدة»، ظهر التنظيم في اليمن في تسعينيات القرن الماضي عقب عودة من أطلق عليهم «الأفغان العرب»، ومنهم كثير من اليمنيين. وقد كان لقادة إسلاميين يمنيين، أبرزهم الشيخ عبد المجيد الزنداني، بمشاركة حكومات اليمن، الدور الأبرز في تجنيد هؤلاء، وإعادة ترتيب أوضاعهم لدى عودتهم إلى اليمن. وفي مطلع العام ٢٠٠٩، أعلن تنظيم القاعدة، بجناحيه اليمني والسعودي، عن الاندماج في إطار تنظيم واحد، أطلق عليه «تنظيم القاعدة في جزيرة العرب». والتنظيم، بحسب أدبياته وإصداراته، يسعى إلى إنشاء «دولة إسلامية» في اليمن، ضمن هدف استراتيجي، هو إقامة «الخلافة الإسلامية».

وإذ كان تنظيم القاعدة قد ركّز عداءه في أدبياته ونشاطه في زمن سابق ضد الدول الأجنبية التي تعادي الإسلام حسب قوله، فقد أضاف جبهة جديدة هي الحكومات العربية والإسلامية التي يزعم أنها حلت محل الدول الأجنبية في محاربته تنفيذاً لأجندة هذه الأخيرة. وهو بذلك يسعى إلى إسقاط الحكومات بالعنف المسلح. وكان التنظيم في اليمن قد بسط نفوذه لفترة في محافظة أبين جنوبي اليمن، سعياً لإعلانها إمارة إسلامية.

الاستقطاب للقاعدة

يساعد القاعدة على استقطاب الشباب إليها ما يبدو من فعالية عملية مباشرة تقدّمها لهم، وتتيح لهم الانتفاض ضد أوضاع اقتصادية واجتماعية في غاية السوء يعيشون وسطها، أو الانتقام لأنفسهم منها ومن صنوف شتى من الإذلال يلحق بهم، عبر فكرة إسلام راديكالي غير مساوم. وتتحدث تقارير صحافية عن جذب تنظيم القاعدة الشبان العاطلين عن العمل، خاصة من أبناء القبائل الساخطين على قبائلهم نفسها أحياناً، كما أنها تعيد اليهم الاعتبار من خلال منحهم مصادر دخل منها رواتب تصل إلى ٤٠٠ دولار في الشهر، وهو مبلغ يفوق راتب الجندي بنسبة ٢٠٠ في المئة. ومثلت قبائل يمنية دعماً لتنظيم القاعدة من خلال إيواء عناصرها لأسباب عديدة، منها وجود بعض أبناء تلك القبائل في صفوف التنظيم، إضافة إلى وجود مقابل مادي يدفعه التنظيم لبعض شيوخ القبائل.

تمويل القاعدة

يقود ذلك إلى الحديث عن مصادر التمويل التي يعتمد عليها تنظيم القاعدة. ويرى محللون أن المال الخليجي، والسعودي منه بشكل خاص، يمثل مصدر تمويل أساس لتنظيم القاعدة في اليمن من خلال تدفق هائل للأموال من جمعيات ومؤسسات وشخصيات شبه رسمية وغير رسمية، ومن أفراد عاديين أيضاً. ويذهب شق من هذه الأموال لتمويل القاعدة بشكل غير مباشر، من خلال دعم جماعات ومراكز تعليم دينية سلفية ذات نزوع متطرف تشكل في العادة الرحم الذي يتوالد منه ناشطو القاعدة في اليمن. في هذا الجانب كشفت منذ وقت قريب التحقيقات الأمنية السعودية مع القيادية في تنظيم القاعدة هيلة القصير، أن هذه المرأة وحدها موّلت التنظيم في اليمن بحوالي مليوني ريال سعودي خلال فترة وجيزة، وهي أموال تأتي باسم التبرعات الدينية تحت ذرائع مساعدات ودفعات صدقة وزكاة.

وثمة مصدر آخر يعتمد عليه تنظيم القاعدة لتمويل نشاطه، وهو خطف الأجانب بغية الحصول على فدية، إضافة إلى استخدام تلك الرهائن في الضغط على الحكومة للإفراج عن سجناء من التنظيم. وتبدو حالة الدبلوماسي السعودي عبد الله الخالدي المختطف لدى التنظيم منذ آذار/ مارس الماضي أحد الشواهد الحية على هذا التوجه، حيث يرفض التنظيم الإفراج عنه من دون استجابة الحكومة السعودية لمطالب تتضمن دفع فدية كبيرة تصل إلى عشرة ملايين دولار، إلى جانب الإفراج عن سجينات للتنظيم في المملكة.

علاقة وطيدة مع صالح

دأب نظام الرئيس المخلوع علي عبد الله صالح على استخدام الجماعات الجهادية المسلحة، مثل تنظيم القاعدة، في العديد من الصراعات السياسية الداخلية. من ذلك استغلال عودة جهاديين يمنيين وأجانب حاربوا الاتحاد السوفياتي في أفغانستان إلى اليمن، حيث وظفهم في حربه العام ١٩٩٤ ضد شريكه في تحقيق الوحدة اليمنية العام ١٩٩٠، الحزب الاشتراكي اليمني. وقد كافأ الرئيس المخلوع تلك الجماعات على مشاركتها في حرب ١٩٩٤ باستيعاب الكثير من منتسبيها في إطار القوات المسلحة والأمن.

كما استفاد النظام من القاعدة لضرب «الحراك الجنوبي» الذي بدأ بفعاليات احتجاجية سلمية العام ٢٠٠٧، حيث أدى دعم جماعات مسلحة تنتهج العنف باسم الحراك الجنوبي، إلى التشويش على طابعه السلمي، ووصمه بالعنف المسلح، ومن ثم الترويج الإعلامي المستمر عن علاقة الحراك بتنظيم القاعدة.

وبعد انطلاق الثورة الشعبية الحالية مطلع العام الفائت، زاد نشاط التنظيم لدرجة إعلانه عن قيام إمارة إسلامية في محافظة شبوة الجنوبية. وبعد أسابيع من أعلان صالح أن تنظيم القاعدة سيسيطر على أجزاء واسعة من البلاد في حال سقوط نظامه، سيطر تنظيم القاعدة على مدينة جعار، وبعد أقل من شهرين دخل مدينة زنجبار عاصمة محافظة أبين الجنوبية، واستولى عليها بشكل كامل يوم ٢٧ أيار/ مايو ٢٠١١. وقد سيطر تنظيم القاعدة على تلك المدن من دون أية مقاومة تُذكر، بعد انسحاب قوات الأمن والجيش منها بشكل سريع ومفاجئ، مخلفة وراءها كميات كبيرة من معدات وأسلحة ثقيلة ومتوسطة، وقعت بيد هؤلاء. وذلك مصدر تمويل آخر للتنظيم المسلح.

عرقلة إعادة هيكلة الجيش

تزداد وتيرة عمليات القاعدة إثر كل خطوة يتخذها رئيس الجمهورية عبد ربه منصور هادي باتجاه إعادة هيكلة الجيش الذي يسيطر على جزئه الاكبر احمد علي عبد الله صالح (نجل الرئيس المخلوع). ففي الرابع من آذار/ مارس الماضي، وبعد يومين فقط من صدور قرار جمهوري بتغيير قادة المنطقة الجنوبية واللواء ٣١ مدرع، مستبدلاً القادة الموالين بشدة للرئيس المخلوع، نفذ تنظيم القاعدة عملية عسكرية في وادي دوفس في محافظة أبين قُتل خلالها ما يقارب ٢٠٠ فرد من قوات الجيش وأسر ٧٣ جندياً. وبحسب تقارير إعلامية، فإن القائد السابق متورط بدعم وتسهيل عملية دوفس للقاعدة، وأيضاً بتزويدها بكميات كبيرة من السلاح.

اهتمام دولي

يتحكم اليمن بـ«مضيق باب المندب»، أحد أهم المضايق البحرية في العالم، ويقع بين اليمن والقرن الإفريقي، ويمر عبره خط الملاحة البحرية لقناة السويس، وكذلك ناقلات النفط. وأكثر ما يثير مخاوف الجهات السياسية الدولية هو إمكانية تنامي تنظيم القاعدة، وامتلاكه القدرة على تهديد الملاحة في المضيق، ومن ثم التأثير السلبي في التجارة الدولية بشكل عام، وإعطاء دفعة للقرصنة البحرية التي تنشط بشكل كبير في خليج عدن والبحر الأحمر. ومن هنا يأتي الاهتمام الدولي بالحرب ضد القاعدة في اليمن.

وكانت زيارة صالح للولايات المتحدة الأميركية في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠١ بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، البداية الفعلية لانخراط اليمن في ما يسمى الجهود الدولية لمكافحة الإرهاب. واستفاد حينها الرئيس – الذي خلعته ثورة شعبية نهاية العام الماضي– من المساعدات الأميركية في بناء الحرس الجمهوري الذي يسيطر عليه نجله حتى اليوم. وارتفعت المساعدات الأميركية من ٧٠ مليون دولار العام ٢٠٠٩ إلى ١٥٠ مليون دولار العام ٢٠١٠. وتناقلت وسائل إعلامية الاخبار عن استخدام الحرس الجمهوري المساعدات الأميركية في حرب صعدة ضد الحوثيين التي اندلعت العام ٢٠٠٤، وكذلك استخدامها في مواجهة الحراك السلمي الجنوبي الذي انطلق العام ٢٠٠٧، ثم في مواجهة الثورة السلمية العام ٢٠١١.

حرب أخرى

خلافاً للرئيس المخلوع، بدأ الرئيس التوافقي عبد ربه منصور هادي حرباً جدية على ممارسات القاعدة. وتمكن في أسابيع قليلة بمساندة اللجان الشعبية من تحقيق ما لم يشأ نظام صالح تحقيقه في سنوات، فهزم القاعدة في أبين ما أدى إلى انسحاب عناصرها من زنجبار وجعار، لكنها تحاول اليوم أن تعود إلى المربع الأول.

وبما أن تنظيم القاعدة متغلغل في مناطق عدة، وبالأخص في المناطق التي تكاد تغيب عنها خدمات الدولة الأساسية، مع امتلاكه أسلحة متوسطة وثقيلة ومصادر تمويل متعددة، فإن القضاء على هذا التنظيم المسلح، يتطلب في الأساس وجود استراتيجية حكومية محددة ضده، لا تقتصر على الهجوم العسكري من دون العمل على معالجة الأسباب المولدة للجنوح الى العنف، وفي المقدمة منها معالجة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتردية التي تبرز من خلال ارتفاع نسبة من يعانون من الفقر إلى ٥٤,٥ في المئة من مجموع السكان العام ٢٠١١ مقابل ٤٢ في المئة العام ٢٠٠٩، وكذا ارتفاع نسبة البطالة الى ٦٠ في المئة في أوساط الشباب، حسب تقرير حديث بثه البنك الدولي على موقعه على شبكة الانترنت نهاية أيلول/ سبتمبر الفائت.

أحمد الزكري

كاتب صحافي من اليمن

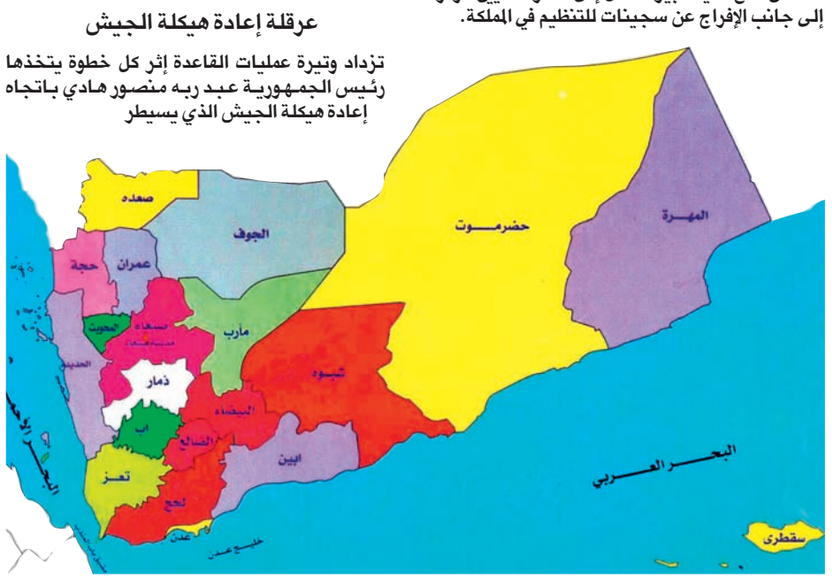

تواجد المجموعات المسلحة للقاعدة في اليمن

تتواجد المجموعات المسلحة للقاعدة في مناطق بعيدة، يتسم بعضها بكونها مناطق صحراوية مفتوحة، أو جبلية وعرة، لذا أصبحت أشبه بمواقع رئيسة للقاعدة، ومنها مناطق تابعة لمدينة «رداع» في محافظة «البيضاء» شرقي اليمن، وفي مناطق «جعار» و«المراقشة» و«زنجبار» في محافظة أبين الجنوبية، وكذلك في بعض مناطق محافظة «شبوة» الشرقية. كما تتواجد تلك المجموعات في محافظة مأرب وفي محافظة الجوف شمالي شرق اليمن، ومحافظة لحج الجنوبية. وتشكل القاعدة خلايا دعوية وجماعات استقطاب دينية في محافظات أخرى منها العاصمة صنعاء، ومحافظة الحُديدة غربي اليمن، ومحافظة عدن الجنوبية، ومحافظة حضرموت شرقي اليمن

الصومال: إنه يضربها في ليلة الزفاف!

بوضع عبارة «عادات الزواج في الصومال» باللغة العربية، وبضغطة واحدة على الزر في محرّك البحث «غوغل»، يظهر أمامك في أقل من نصف ثانية ستة وستون ألفا وستمئة نتيجة. والمدهش أن الباحث في ذلك البند يكتشف أن معظم تلك النتائج تقول التالي: جرت العادة في الصومال أنه أثناء الاحتفال بالزواج، يقوم الرجل الصومالي بضرب زوجته!

وعلى الرغم من عدم معرفتنا بمن بدأ تلك «الأسطورة» حول المجتمع الصومالي، ومتى بدأ ذلك، فلا شكّ أن الملكة أراويلُه، (ملكة الصومال التي يرجح أنها عاشت في القرن الاول للميلاد، بينما يقال بالمقابل أنها عاصرت ملكة سبأ وأنهما تبادلتا الهدايا)، لو سمعت بتلك الدعاية، لكانت أمرت دون تردد أن يعاقب صاحبها بالخصي (وهي العقوبة التي حلت وقتها محل قتل المجرمين).

وبعيدا عن المرأة «الحديدية» الأقدم في تاريخ بلادنا، فإن شعور الصومالي تجاه شريكة حياته، لا يغادرها الامتنان والاحترام والتقدير. فهي لم تخسر يوما موقعها بجوار الرجل تقاسمه مهام الحياة، وتشاركه في أخذ القرار، وهي تترك بصمتها واضحة دون منّة من الرجل او تَفضّل في كل صغيرة وكبيرة. فهي شريكة في تربية المواشي أو الفلاحة أو حتى في الملكية، كما خلّدت مدوّنات زيارة الملكة الفرعونية «حتشبسوت» إلى بلاد «بونت» بالقرن الخامس عشر قبل الميلاد، «فملك البلاد وملكتها أتي كانا في استقبالها».

ومن المذهل حقيقة أن المجتمع الصومالي، على طول تعايشه مع الديانات السماوية كاليهودية (سقطت آخر ممالك اليهود في القرن الثاني عشر، بعد حملة قادها الشيخ يوسف بن أحمد الهاشمي في شمال الصومال)، واعتناقه الجماعي للإسلام، لم يتلاشَ منه ملامح الحضور القوي لنظام الأمومة. فمن خلال تتبعنا لمقولة تصف إحدى القبائل الصومالية بأن «ليس فيهم أحمق»، برر ذلك أحد كبارهم بأنهم «لا يقطعون في أمر مهم خاصّ أو عام دون مشاورة نسائهم».

لكن ذلك لا يعني في أي حال خلو المجتمع من ظواهر وعادات متناقضة لشعب تراثه غاية في القدم والعراقة، كالشعب الصومالي. فلازال هناك من يمارس «الختان الفرعوني» غير الإنساني ضد الفتيات الصغيرات. إلا أن الاحتفالات التقليدية المرافقة قد اندثرت، والتي كانت تكتمل بمنح الفتاة «نطاق الملك»، لتصبح باستحقاقها ذلك الحزام حول خصرها، عبر ما مرّت به من معاناة الختان، مساوية في المكانة لـ«إبنة الفرعون الملك».

كما أنه لا زال معمولا في الأرياف والبوادي، بممارسة وإن كانت في تراجع مستمر نتيجة للدعوات المناهضة لها، نظرا لما تجلبه من التعاسة للنساء الأرامل، أو اللاتي توفّيَت أخواتهن المتزّوجات عن أطفال، في تقليد يسمى بـ«دومال»، وهو تصحيف لعبارة «دوغ–مال»، والتي تعني «حق الدفن». أي أن الأرملة الأم، من حق زوجها «الميّت» عليها أن تكون «ملزمة» بالزواج من أخيه، تحت طائلة إعادتها إلى بيت أبيها دون ميراثها الشرعي أو أطفالها، كما أنه من حق الزوج أن تكون له الأولوية في الزواج من أختها في حال وفاتها وتركها أطفالا.

ولاشكّ أن التشرذم والتقاتل وما صاحبهما من أوضاع مأساوية، عقب سقوط النظام العسكري في بداية التسعينيات، قد أدى إلى تدهور على كافة المستويات. وكانت المرأة المتضرر الأكبر، نظرا لحدوث تجاوزات وجرائم خطيرة على نحو غير مسبوق، إضافة لانهيار المؤسسات الصحية. وإذ غدت البلاد من أكثر المناطق كارثية في العالم، ارتفعت معدلات الوفيات المترافقة مع الحمل والولادة ومضاعفاتهما. ورغم أهمية الكشف عن الوقائع الاكثر سلبية، إلا أنه من الضروري أيضا عدم إغفال الواقع الطبيعي للمرأة المتمكنة في المجتمع صومالي، إذ أن حقوقها كإنسان مستقل وكامل الأهلية محفوظة إلى حدّ بعيد، بصورة تفوق عموماً نظيراتها في المحيط الإفريقي والعربي. فهي مرشح رئاسي وقيادي حزبي، ووزير وضابط أمن وطيار حربي، ومندوب دائم لدى الأمم المتحدة ممثلة لبلدها، وسيدة أعمال تجوب العالم، وعداءة ولاعبة كرة سلة، ومطربة ومسرحية، وفقيهة يسافر العلماء لتلقي العلم منها. ذلك أن الظروف المأساوية تبقى استثنائية رغم فظاعتها، وهي لا تغيّر من مكانة المرأة في المجتمع الصومالي. وهذا يحفظ لها حقها في الطموح، والسعي لتحقيق ما ترى نفسها مؤهّلة للقيام به. ففي الوقت الذي تتراوح فيها مجتمعات كثيرة تجاه المرأة، بين طمس بعض حقوقها الشرعية الضرورية لقيامها بدورها في المجتمع، استنادا لدعاوى التقاليد، وبين منحها مظاهر تمكين غاية في السطحية، محاكاة لحضارات أخرى، فإن للمرأة الصومالية استقلاليتها، فلا فضل لأخيها الذكر عليها أمام سلطة الأبوين في المنزل، بل يكاد الأخ يشعر بأنها المفضّلة عليه، لقدرتها الفطرية الفائقة على إظهار الجانب الرؤوف للوالدين. ومن هناك تخرج إلى الحياة متمتعة بثقة عالية.

المرأة الصومالية شقيقة الرجل وشريكته، كانت ولازالت تساهم في جهود قيادة المجتمع الذي انهكته الحروب والحزازات، نحو مستقبل أكثر سلمية وازدهارا. وتستحضر الأذهان دائما تجربة «أدنا آدن إسماعيل» المولودة عام ١٩٣٧ ، الطبيبة والسياسية، والناشطة في المجال الصحي والإنساني، وصاحبة المشاريع في تحسين الخدمات الطبية لقطاع الأمومة والطفولة. وهي أرغمت العسكر على عدم الاقتراب من بيتها، ومنعتهم بثباتها العجيب من مصادرته والعبث بمحتوياته، بينما كان زوجها، رئيس الوزراء، في المعتقل، إثر الانقلاب العسكري سنة ١٩٦٩. وبعد ان دمّرت الحرب الأهليةُ مشروعها لبناء منشأة صحية في العاصمة مقديشو، عادت إلى مسقط رأسها، هرجيسا، لتبدأ من جديد، وتحقق ما كانت تصبو إليه، تاركة العمل السياسي، بعدما كانت أول وزيرة خارجية لجمهورية «أرض الصومال»، متفرغة لتدريب كادر نسائي مؤهّل لإدارة مستشفى للأمومة والطفولة أصبح يحمل اسمها، بعد أن حوّلت بجهودها وعملها الدؤوب ما كان مكبا للنفايات إلى صرح خدمي إنساني لا يمكن تجاهله في القرن الإفريقي.

لابد أن المرأة الصومالية استحقّت بجدارة أن تكون أيقونة شعبها بفضل طريقتها في تربية أطفالها على العمل مرددة دائما عبارة تقليدية: «أعدك أنني سأتباهى بك»، أو وهي تنظم القصائد بفنّ شعري خاص بها (الـ«برامبر»)، لا يحق لأحد سواها أن يقول الشعر به، في حين أنها تشارك الرجال في كل فنون الشعر الأخرى متى شاءت، فتحمل الرياح الأربع روائع إبداعها، كما تحمل امتنان قبائل وعشائر، يُعد أبناؤها اليوم بالملايين (بنو إسحاق بن أحمد، وعشائر أبجال وغيرها)، لم يكن لينجو أول أفرادها لولا حكمة امرأة وحبها وتضحيتها. هذا ما يطغى على المعتقد الجمعي في الصومال، وأما ترهة عادة الضرب ليلة الزفاف فتخص الانترنت!

محمود محمد عبدي

كاتب من الصومال
somalifuture.wordpress.com

مواقع

شريكة / صديقة

مدى الكرمل: الفلسطينيّون في إسرائيل حصراً

مدى الكرمل Mada Al-Carmel

يظهر «مدى الكرمل ـ المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقيّة» كأحد أشهر مراكز الأبحاث في فلسطين المحتلة، المتخصصة تحديداً بشؤون الفلسطينيين من حملة الجنسية الإسرائيلية. المركز الذي يديره باحثون وناشطون فلسطينيون، منهم نديم روحانا وايناس عودة – حاج ونادرة شلهوب – كيفوركيان، تأسس في العام ٢٠٠٠ بمدينة حيفا، ويقدّم نفسه على موقعه الالكتروني على أنه يهتمّ بالتنمية البشرية والقوميّة في المجتمع الفلسطينيّ في دولة إسرائيل، ويركز على الاحتياجات الاجتماعية والتربوية والاقتصادية للفلسطينيّين في البلاد، وعلى الهويّة القوميّة والمواطنة الديموقراطيّة.

تصميم الموقع الالكتروني هادئ، وهو يقدم معلوماته باللغتين العربية والانكليزية، ودرجة سهولة الوصول إلى المعلومات داخله جيدة. الموقع غني بمواد «مدى الكرمل» المموَّل بدوره من مجموعة واسعة من المنظمات الحكومية وغير الحكومية، الأوروبية خاصة، منها: الاتحاد الأوروبي، وGalilee Foundation، وGlobal Fund for Women، وNorwegian Church Aid.

تسعى إصدارات ونشاطات «مدى الكرمل» إلى تلبية أهداف المركز، منها تغيير وضع الفلسطينيين «من أقليّة مقموعة ومضطهدة، الى مجموعة قوميّة تحظى بمساواة فردية وجماعية مع الأكثرية اليهودية في الدولة».

المنشورات الورقية للمركز عديدة، أشهرها مجلة «جدل» التي تصدر كل شهرين بثلاث لغات (عربية وانكليزية وعبرية)، بالإضافة إلى مجلة «مدى آخر» (فكرية ثقافية نصف سنوية)، والمجلة السنوية «أبحاث فلسطينية في المجتمع والتاريخ».

أما المنشورات الالكترونية، فعددها أكبر، أبرزها «وثيقة حيفا» التي أعدتها مجموعة من المثقّفين والأكاديميّين والناشطين الفلسطينيّين حول تصوّر الفلسطينيّين المواطنين في إسرائيل لوضعهم الجماعيّ. وتصدر عن المركز أيضاً بشكل دوري قراءات في التاريخ والسياسة والمجتمع حول الفلسطينيين في إسرائيل. ومن أبرز المواد التي يقدمها الموقع الالكتروني للمركز، «تقرير الرصد السياسي» الذي يصدر كل ٣ أشهر منذ ٢٠٠٢، «لمتابعة التطورات السياسية في سياسات إسرائيل تجاه المواطنين الفلسطينيين الذين يعيشون فيها».

عناوين كتب المركز خير مؤشر الى حقول اهتماماته، وهي حتى اليوم ثمانية: «الجمعيات النسائية والنسوية»، «الفلسطيني في مناطق الـ١٩٤٨»، «كتابات نسوية: ما بين القمع وأصوات فلسطينيّة مقاومة»، «يوم الأرض: ما بين القوميّ والمدنيّ – سيرورة وتحوّل»، «نحو صياغة رواية تاريخية للنكبة: إشكاليات وتحديات»، «مداخلات حول الحقوق الجماعية والدولة القومية»، «حول تهويد المكان»، «مواطنون بلا مواطنة: تقرير الرصد السياسي السنوي ٢٠٠٠– ٢٠٠٢».

ومن بين نشاطات فريق عمل المركز، وحدة استطلاع الرأي العامّ التي تُعنى بالفلسطينيّين داخل إسرائيل البالغ عددهم نحو ١٦ في المئة من السكان.

للمركز ٦ برامج ثابتة: المجتمع الفلسطيني، الحقوق الديموقراطية، العدالة الاقتصادية، البرنامج التربوي، برنامج الدراسات النسوية، برنامج التاريخ. يضع الموقع لائحة بروابط الجامعات الأجنبية حيث تتوفر منح مدرسية وجامعية للطلاب الفلسطينيين.

إلى جانب النشاطات «الأكاديمية» التي يقوم بها «مدى الكرمل»، ينظم في مركزه بحيفا مجموعة من النشاطات، كعرض الأفلام ومناقشتها (آخرها ميثاق مدني ـ فلسطين)، وتنظيم الندوات (آخرها كانت بعنوان: «الناصرة: مدينة فلسطينيّة ما بين الانتداب وإسرائيل»).

http://mada-research.org/

فكرة

سوريا و«الأممية العفويّة»

منذ ١٥ آذار/مارس ٢٠١١، لم تُسجَّل تقريباً تظاهرة شعبية كبيرة واحدة في عواصم ومدن الغرب تضامناً مع الانتفاضة السورية. قد يرى البعض في الموضوع مؤشراً عن نأي غربي بالنفس إزاء شؤون انتفاضة شعبية، وإن تدخّلت فيها في ما بعد أصابع من كل صوب. غير أنّ الأمر يتخطّى سذاجة الخلط بين التعبئة الشعبية من جهة، والتدخل الحكومي الاستعماري في شؤون داخلية لدول العالم الثالث من جهة ثانية. اللامبالاة الشعبية الغربية إزاء أحداث كبيرة تحصل عندنا، من نوع حروب إسرائيلية واحتلالات أميركية ومجازر ترتكبها «أنظمة التحرر الوطني» بحق شعوبها، هو مسار لم يبدأ مع الثورة السورية، بل شكّلت هذه الانتفاضة اليوم مجرّد تتويج له. فمقارنةً مع منسوب التعبئة الشعبية الهائلة التي كانت تتنقل بين عواصم الغرب زمن الانتفاضتين الفلسطينيتين، والاجتياح الإسرائيلي لبيروت، أو الحضور المليوني في لندن وباريس وغيرهما ضدّ احتلال العراق قبل أقل من ١٠ أعوام، وربما التظاهرات الكبيرة ضد العدوان الاسرائيلي على غزة مطلع سنة ٢٠٠٩، يلاحَظ أنّ التحرُّك الشعبي الغربي ازداد خجلاً وبوتيرة متسارعة، وفي كل المناسبات الكبرى التي تهزّ منطقتنا.

كان النقل التلفزيوني لمشاهد المجازر كافياً في الماضي (القريب) لإحداث الصدمة ولاستنهاض إنسانية مواطن غربي. مواطن لا شكّ في أن الأزمة المالية الكبرى التي تهزّ الغرب منذ ٤ أعوام، أدّت ولا تزال دوراً رئيسياً في سلب اهتماماته ووقته. ولا ينقص الدليل على ذلك، إذ تخلص جميع استطلاعات الرأي والاحصاءات إلى أن السياسة الخارجية تقع في ذيل اهتمامات الغالبية الساحقة من المواطنين في الغرب. في سوريا، توفّرت المجازر وبكثرة، من دون أن يكون ذلك محفّزاً لتكوين رأي عام غربي يشكل قوة ضغط ولو معنوية لوقف ما يحصل، أو على الأقل ليكون بمثابة مؤاساة للشعب السوري.

لا بدّ من أنّ هناك علاقة في الموضوع للانقلاب العام في المنظومة القيميّة الشعبية في الغرب، وهو انقلاب يصبّ في النهاية بخانة تحجيم الهموم داخل كل دولة على حساب ما كان يُعتبَر «أممية عفويّة» غالباً ما كان محرّكوها في الشوارع يساريين عموماً. كان الظلم بشكل عام يحرّك كثُرا في «العالم الأول»، فحلّت أولويات عديدة بدلا من هذا «الظلم العام». هكذا ضاقت الدائرة: من همّ الانسان إلى همّ الأقليات. من همّ الاستغلال إلى همّ المرأة المستغلّة أو الطفل المستغَل... وقسْ على ذلك. كان هناك شيء اسمه رأي عام غربي، يترجَم بتظاهرات حاشدة وتعبئة جماهيرة، فباتت هناك نواة سحرية اسمها «منظمات غير حكومية». فشّة الخلق الحقيقية في الطرقات والشوارع حوّلها «الفايسبوك» وأخواته إلى «فشة خلق» افتراضية. كبسة زرّ ويشعر صاحبها بأنه غيّر العالم، بينما لا يكون قد فعل شيئاً سوى كبسة زرّ. مع أن سوء أحوال العالم، وسوء أحوالنا هنا، ترفع من قيمة التضامن الأممي بل من ضرورته، حيث يظهر بوضوح متعاظم أنه لا نجاة جزئية، ولا طرف يمكنه أن يجد جنته وسط الجحيم.

وهكذا يصرخ السوريون «يا الله ما لنا غيرك يا الله».

أرنست خوري

العربي السفير

قضية

١٠٠ رجل أعمال سوري على الأقل اختُطفوا في حلب منذ اندلاع الثورة السورية، بحسب غرفة تجار حلب. وضع دفع بمعظم صناعيي المدينة ورجال اعمالها إلى تخصيص ميزانيات جديدة للحماية الشخصية ولحماية مصانعهم ومصالحهم، مع أجور شهرية لمرافقين شخصيين يقدر إجماليها بحوالي ٥ آلاف دولار شهرياً، فضلاً عن دفعة أولى تناهز قيمتها الـ ١٠٠ ألف دولار.

اقتصاديات الإخوان المسلمين بمصر

رأسمالية متوحشة وإن كانت متوضئة

فارق كبير بين النص الإسلامي والممارسة الحياتية، بين الإسلام والمسلمين، وبالتبعية بين ما تخطّه جماعة الإخوان على الورق من تعاليم ووصايا وأفكار وتصورات، وبين السلوك العملي الذي يتماهى مع التقاليد السائدة تارة، والبحث عن المنفعة أو المصلحة طوراً، علاوة على الظروف الحياتية التي تضغط على أعصاب قيادات الجماعة وتجعلهم يذهبون في أحيان كثيرة صوب دروب بعيدة عما يحملونه في رؤوسهم من تصور عن «مجتمع مثالي» يقوم على العقيدة الصافية والأخلاق الحميدة، وينزع إلى إقامة المشروع الذي بشر به مؤسس الجماعة الشيخ حسن البنا، والذي يخرج عنه بوضوح الإخوان حالياً.

هذا الفصام انعكس على الرؤية الاقتصادية للجماعة بعدما أوصلت أحد قادتها إلى سدة الرئاسة في مصر، وكذلك على البنية الداخلية للإخوان التي تعاني من تفاوت طبقي، تزكّيه حالة التريف التي تعززت في العقود الأخيرة وغيرت إلى حد ما من تركيبة جماعة لم تفارقها سماتها «المدينية» لسنوات طويلة، في المنشأ والمسار. وتتم إحالة كل هذا إلى سند ديني وسط تأويل مفرط للنص أو اتكاء على الظروف التي تجعل «الضرورات تبيح المحظورات»، والتي قادت في الحقيقة إلى تركز «ثروة الإخوان» المحصّلة من تبرعات أعضائهم العاملين وهبات الموسرين في الخليج وأرباح مشروعاتهم في مناطق مختلفة من العالم، في أيدي قلة وظفتها في شراء الولاءات وتوجيه دفة الجماعة لتبتعد بمرور الوقت عن طريق حسن البنا وتنزلق إلى طريق سيد قطب، رغم أن قادة الجماعة الأقدمين تبرأوا منه، وقالوا إنه لا يمثل جماعتهم.

حسن البنا أم سيد قطب

نادى سيد قطب بتوفير حد الكفاية وكتب من أجل هذا كتابه الأثير «العدالة الاجتماعية في الإسلام». لكن ذلك كان في مرحلته الثانية التي لم يلبث أن فارقها وتنصّل مما ألفه خلالها تماماً. ورغم أنه كتب «معركة الإسلام والرأسمالية»، إلا أن قضيته لم تكن مواجهة الرأسمالية الاستعمارية المتوحشة برؤية تنزع إلى الانتصار للطبقات الفقيرة بقدر ما كانت تواجه رأسمالية الغرب برأسمالية تتكئ على النصوص الإسلامية، إما بتأويل للقرآن الكريم يلائم افكاره، أو بانتقاء الأحاديث النبوية أو بالتقاط لمواقف من سير الأقدمين.

أما حسن البنا، ورغم تأكيده على الملكية الخاصة، إلا أن رؤيته الاقتصادية انطوت على مطالب أساسية، تبدو مصر في حاجة ماسّة إليها في الوقت الراهن، وهي: استقلال النقد واعتماده على رصيد ثابت من موارد الأمة ومخزونها لا من البنوك الدولية، وحماية الجمهور من عسف الشركات المحتكرة وإلزامها حدودها بما يؤدي إلى الحصول على كل منفعة ممكنة للناس، وتنظيم الضرائب الاجتماعية على أساس النظام التصاعدي بحسب المال لا بحسب الربح، وأولها الزكاة، ومحاربة الكَنز وحبس الأموال عن التداول، والاستعانة بها في المشروعات الاقتصادية وكذلك الخيرية، وأخيراً تحسين حال الموظفين الصغار برفع مرتباتهم وعلاواتهم وتقليل مرتبات الموظفين الكبار. كان البنا في تلك الأيام يقود مجموعة من صغار الموظفين والحرفيين، الذين كونوا النواة الأولى لجماعة الإخوان، ولذا كان ملتفتا إلى رقة حالهم، وراغباً في تحسين أحوالهم. لكن بمرور الزمن، راحت الجماعة تجذب قطاعات من «البرجوازية الصغيرة» وتتمسك بشروط صارمة لمن ينضم إليها، ومنها ضرورة أن يكون له عمل يتكسب منه. ثم انفتح باب واسع لتراكم رأسمالي جاد، من التبرعات والهبات والاستثمارات، وباتت الجماعة مصدراً لخلق طبقة من رجال الأعمال، كلفتهم بتدوير أموالها في تكتم بعيداً عن ملاحقة ومطاردة الأنظمة الحاكمة التي كانت تستهدف الإخوان.

سمات الرأسمالية الاخوانية

وقد انتهت دراسة استقصائية معمقة أعدها باحثون في مركز النيل للدراسات الاقتصادية والاستراتيجية تحت إشراف الخبير الاقتصادي عبد الخالق فاروق، إلى خلاصات حول سمات «الرأسمالية الإخوانية»، منها أن بعض الإخوان يمتلكون «إمبراطوريات مالية صغيرة» لا يقل رأس مال الواحدة منها عن خمسمئة مليون جنيه، إلى جانب امبراطوريات أكبر في الخارج يبلغ رأسمالها مليارات الدولارات. وينكر الإخوان هذا بالطبع، ويسربون أحياناً أرقاماً متواضعة عن حجم ثروات بعض رجال أعمالهم في مصر مثل خيرت الشاطر وحسن مالك. وأغلب هذه القدرات الرأسمالية الإخوانية غير تنموية، لأنها تقوم بالأساس على التجارة التي يكرر بشأنها كبار رأسماليي الإخوان دوما الحديث المنسوب إلى الرسول الكريم «تسعة أعشار الرزق في التجارة» من دون مراعاة السياق الذي قيل فيه هذا القول، حيث لم يكن هناك مورد رزق أمام عرب شبه الجزيرة سوى البيع والشراء في موسم الحج، وليس بالطبع الزراعة والصناعة. وفي هذا عدم إمعان للنظر أو التدبر في القرآن الكريم الذي يقدم نموذج النبي يوسف، عليه السلام، الذي أنقذ مصر من المجاعة بزراعة القمح، وليس باستيراده من الخارج كما يجري الآن.

وينصرف جزء كبير أيضاً من هذه الأنشطة إلى التوزيع والخدمات، وليس بالقطع إلى استصلاح الأرض وفلاحتها، وتشييد المصانع، وتعزيز اقتصاديات المعرفة. وقد كان الإخوان في مصر معذورين في توجههم هذا قبل ثورة يناير، نظراً لأوضاعهم الأمنية التي لم تمكنهم من إظهار قدرتهم الرأسمالية في أنشطة اقتصادية كبيرة وراسخة وظاهرة. لكن لا يبدو، حتى الآن، ما يدل على أنهم سيغيرون هذا التوجه، ويجلبون رؤوس أموالهم المستقرة في الخارج ويستثمرونها في الداخل. ومن سمات الاقتصاد الاخواني أيضا أن بعض رجال أعمال الإخوان شركاء لبعض نظرائهم ممن ينتمون إلى نظام حسني مبارك. وهذه الشراكة قامت في الغالب الأعم على «محلل» أو «شريك وسيط» من خارج مصر، لاسيما من بلدان دول مجلس التعاون الخليجي. ويسعى رجال أعمال الإخوان حاليا إلى اختراق مؤسسات الدولة بسرعة هائلة، فمن بينهم اثنان في التشكيل الوزاري، وبعضهم يحيط برئيس الدولة ويداوم في قصر الرئاسة، أو يقع من بين المستشارين السريين للرئيس، وبعضهم مستشارون لوزراء، وهو النهج ذاته الذي سلكه نظام مبارك.

أحمد علي

وهناك حول رجال الأعمال الكبار في جماعة الإخوان طبقة تالية من التجار الصغار، الذين أفادهم المسكون بأموال الجماعة من خلال إقامة مشروعات صغيرة ومتوسطة لهم، على هيئة متاجر ومطاعم وورش، في سبيل تدوير رأس المال، الذي يفقد قيمته أو قوته الشرائية بمرور الوقت نظراً لارتفاع معدل التضخم، وكذلك جلب المنفعة لقطاعات أعرض من الجماعة، التي تحوّلت بمرور الوقت إلى كيان اجتماعي له قوام خاص، عليه أن يواجه التضييق عليه بتصريف أموره داخلياً، جنباً إلى جنب مع امتلاك الأموال التي تخدم الأدوات والآليات التي تنتهجها الجماعة في سعيها الدائم والدائب نحو التمكن من المجتمع والدولة. وأموال الإخوان هي جزء من أدوات ربط الفرد بالجماعة، ومساعدة «الأسرة الإخوانية» في امتلاك القدرة على المواجهة المستمرة، لاسيما في سنوات التضييق. فمنها كان يتم دفع النفقات الشهرية للأسر التي تم اعتقال عائلها، ومنها تساعد الجماعة بعض المنتمين إليها في رحلات تعليمهم أو مواجهة ظروف صحية صعبة، ومنها أيضاً تقوم الجماعة بدورها في تطبيب المجتمع المعوز، من خلال الاهتمام بمساعدة الأيتام والفقراء عبر الصدقات الدائمة أو الموسمية المتقطعة. وهي قوة اجتماعية طالما تمكّن الإخوان من حشدها للتصويت لمصلحة مرشحيهم في مختلف الانتخابات التي خاضوها. وقد ظهر الأمر بجلاء عقب الثورة، حين قام الإخوان بتوزيع سلع تموينية على الفقراء في بعض المدن أملا بالحصول على أصواتهم.

خدمات بمقابل

كما استغلّ الإخوان شبكة النفع العام التي قامت بها بعض الجمعيات السلفية الدعوية، وفي مقدمتها «الجمعية الشرعية للعاملين بالكتاب والسنة» للتمدّد والتوغل داخل أوردة المجتمع عبر تقديم الخدمات، خصوصاً في ظل انحسار الدولة تدريجياً عن فعل هذا. وفضلاً عن رغبة الإخوان في الاستفادة من آلاف الفروع التي تمتلكها هذه الجمعية، فإنهم كانوا مضطرين إلى أن يسلكوا هذا السبيل للتعمية على الأجهزة الأمنية التي تتعقب أنشطتهم، بوصفها وسائل للتجنيد والتعبئة والحشد. وما يستخدمه الإخوان من أموال في هذه العملية هو النزر اليسير مما يملكون، لأن أغلب أموالهم في الخارج، ما يعني أن الجزء الأكبر من طاقة الجماعة الاقتصادية منصرفة إلى «التجارة» وفق أحدث وأقسى الأساليب التي تنتهجها النظم الرأسمالية. وربما خلق هذا الوضع تصوراً راسخاً لدى الإخوان لا يستطيعون مفارقته حتى بعد أن وصلوا إلى قمة هرم السلطة، وهو تعزيز «الملكية الخاصة» بمقابل الاقتصار على تقديم الصدقات للفقراء، وهو تعبير عن عدم الإيمان بأن لهم حقوقاً أصيلة وأساسية في المال العام يجب أن توفر لهم حد الكفاية.

مشكلات طبقية

وقد حاولت الجماعة أن تعالج الآثار النفسية لهذه المعضلة داخل صفوفها، من دون أن تكون معنية بالبحث عن علاج أو حل للمجتمع العريض الذي يقع خارج الإخوان، وهو الأكبر عدداً. فالجماعة تحاول أن تفصل بين «الشعب» التي تقيمها في الأحياء الفقيرة وبين نظيرتها المقامة في الأحياء الثرية، حتى لا تخلق «حقداً طبقياً» بين أعضائها قد يعجل بتفجر صراع اجتماعي داخلي، سيؤثر من دون شك على استقرارها، وقدرتها على التماسك، أو يظهر لدى الإخواني رقيق الحال مدى الهوة بين القول والفعل داخل الجماعة العجوز. وأيام المحنة كان ينظر إلى الإخواني المتقدم في مراتب الجماعة باعتباره الأكثر استعداداً للتضحية، نظراً لأن النظام كان يستهدف الكبار في سبيل تعويق تقدم الإخوان إلى الأمام في الحياة السياسية والاجتماعية. ولذا كان ينظر إلى ما لدى هؤلاء من إمكانيات مادية بوصفه تعويضاً عن الثمن الذي يدفعونه من حريتهم وحياة أسرهم. لكن بعد وصول الإخوان إلى السلطة سيختلف الأمر تماماً، إذ إن التقدم هذا سيمنح صاحبه مزايا من دون أن تقع على عاتقه أية أعباء أو يدفع أي ثمن. ومن ثم سيحدث تزاحم حول المنافع بمرور الوقت، لاسيما بين القيادات العليا للجماعة، وهي حالة تجري الآن في الخفاء وفي صمت أو بأنين مكتوم، لن يلبث أن يعلو ويصير صراخاً.

وهذه الأوضاع الطبقية المختلة، تلقى إنكاراً على المستوى النظري من جماعة تزعم دوماً أن مثل هذه المسألة لا تعنيها، وأن العلاقات بين أفرادها قائمة على التواد والاحترام والأخوة، متكئة في تبريرها هذا إلى نصوص قرآنية ونبوية، أو ما خلفه مؤسسها حسن البنا من تعاليم ووصايا. ومن المرجح أن يزداد في السنوات المقبلة تنافس قادة الجماعة على المناصب والنفوذ داخل الدولة، وكذلك على إدارة الثروة وفق طريق يجعل النجاح قرينا بتعظيم الربح لا بالاستجابة لحد الكفاية، أو التصرف وفق القاعدة الذهبية التي تقول «المال مال الله». وفي الحقيقة فإن تجربة الإخوان الاقتصادية لا تقدم ملامح تتجاوز تجميل الرأسمالية الغربية بمساحيق فقهية يطلق عليها زوراً وبهتاناً إنها الرؤية الاقتصادية للإسلام، من زاوية «الاستمتاع بزينة الدنيا» و«التحدث بالنعمة» و«حق التملك الخاص»، ليبقى للفقراء مجرد صدقات وليست حقوقاً، متجاهلين أن «الفقر كاد أن يكون كفراً» وأن «ليس منا من بات شبعانا وجاره جائعاً وهو يعلم»، كما يقول الرسول الكريم. وفي ذلك تجسيد للانتقائية في النصوص الدينية. وسيمضي الإخوان في سياسات اقتصادية مطابقة لتلك التي كان ينتهجها نظام مبارك، حيث تمييز القلة المحتكرة، وتشجيع الاقتصاد الترَفي، والاقتراض من المؤسسات الدولية.

عمار علي حسن

روائي وباحث في علم الاجتماع السياسي ـ مصر

رسامو الكاريكاتير في العراق: ممنوع الاقتراب من العمامة

لدى رسامي الكاريكاتير في العراق تخطيطات لشخصيات عامة بعضها غير منشور، أو «محدود التداول» بحسب تعبيرهم، تناولوا فيها شخصيات دينية، وفرّغوا كل شحنات السخرية على الملامح. التخطيطات تحفز المتلقي لاختبار وعيه في تحديد موقفه من ظاهرة الاحتقان الطائفي التي شهدتها البلاد قبل سنوات، واسفرت عن قتل الاف الابرياء نتيجة الاستجابة لدعوات المتطرفين من كل صوب. الرسام الحميري يصف تلك السنوات بانها نكبة عراقية لم نشهد لها مثيلا «وقف وراءها من رفع شعار الدفاع عن المذهب والطائفة ليبطش بالاخرى». الأعمال المنشورة في ذلك الوقت لم تأخذ الصفة المباشرة، فإذا كان الشخص العادي يعيش هواجس الخوف في كل دقيقة، فكيف يكون حال الرسام حينما يتناول شخصيات دينية يعتقد بأنها قامت بدور فاعل في تغذية الحقد الطائفي بين مكونات الشعب العراقي، في ظل عجز الحكومة عن توفير الأمن، وسقوط مناطق بأكملها بيد المسلحين. فمن دون الاستعانة بجهود الرقيب، رفع رسامو الكاريكاتير شعار أو كلمة سر تقول «ممنوع الاقتراب من العمامة»، لتفادي العواقب الوخيمة في زمن النكبة.

رسام الكاريكاتير كفاح حسن له تفسير لهذا الشعار. فهو يرى أن تناول القضايا الدينية بشكل عام في البلدان العربية من قبل رسامي الكاريكاتير يعد واحدا من الإشكاليات القائمة «لا حدود للمحرمات، وهي تتسع باستمرار بعد ان اكتسبت صفة المقدس، والتعرض لها يعني مجازفة خطيرة قد تحمّل من يتقدم اليها دفع حياته ثمنا لمجازفته. وفي اقل تقدير صدور فتوى بتكفيره. انتشار الامية واتساع نفوذ رجال الدين، وغياب تشريعات حرية التعبير، اسهمت هي الاخرى في اضفاء صفة القدسية على مظاهر سلبية كثيرة».

المشكلة وإن كانت الاكثر حدة مع الكاريكاتير، إلا أنها تواجه ايضا المشتغلين بقضايا الادب والفن والفكر. ويرى الشاعر الاعلامي كاظم غيلان ان فرص التحرر الفكري في البلدان العربية تراجعت بسرعة قياسا بسنوات عقد السبعينات، ويضيف «الآن أصبح المقدس منطقة حمراء واسعة اخذت شكل حقل الغام امتد الى تفاصيل الحياة اليومية».

الكاريكاتير يكشف الحقيقة اكثر من المقال

رسام الكاريكاتير في جريدة الصباح احمد الربيعي ليس الوحيد من بين زملائه الذي يخشى الخطوط الحمر، لكنه ربما يكون الوحيد من بينهم الذي رافقته المحرمات منذ النظام السابق وحتى ما يفترض بأنه عهد الديمقراطية في العراق. عمل الربيعي في جريدة «بابل» التي يترأس تحريرها عدي صدام حسين. وهو صاحب رؤية يصفها بالحديثة لفن الكاريكاتير، واخذ ينشر تخطيطاته في الصفحة الأخيرة، ولم تكن مألوفة وقتذاك، لان أشكاله غريبة، وهذا في أقل تقدير. رئيس التحرير التفت لهذا الامر وادرك بان تخطيطات الشاب الربيعي غير صالحة للنشر، فقرر منع نشرها في جميع الصحف العراقية، وكانت وقتها لا تتعدى أصابع اليد الواحدة.

أثناء إقامة معرض لفن الكاريكاتير في العاصمة بغداد مؤخرا، سألتُ الربيعي عما إذا كان قد تخلص من الخطوط الحمر؟ فقادني الى مكان منزو خال من الجمهور وهمس باذني «رجال الدين!». أضاف «نعيش مرحلة فيها فسحة من الحرية، ولكن توجد خطوط حمر لا يمكن الاقتراب منها، والدين في مقدمها».

زميله رسام الكاريكاتير عبد الرحيم ياسر أنقذ الربيعي بالقول «هناك الكثير من الخطوط الحمر، توجد تابوات معروفة هي الدين والجنس لا يمكن الكلام فيها، الكاريكاتير ألان يتمتع بالحرية، ولكنها ليست كافية ليكون فعالا، وهو بحاجة الى اكثر من ذلك». أما خضير الحميري فقال «لكل زمان خطوطه الحمر. وهي تعيق حركتي في هذا الزمان، وكذلك بقية الاعلاميين الذين يمتلكون الجرأة في مواجهة الاحداث اليومية». نائب رئيس تحرير جريدة «المدى»، عدنان حسين، حدد الخطوط الحمر المعتمدة في وسائل الاعلام بالقول «كل صحف العالم الرصينة لديها خطوط حمر، لان المجتمع لديه تلك الخطوط، فممنوع ليس فقط على رسام الكاريكاتير بل الكتاب ومنتجي الاذاعة والتلفزيون انتاج مواد تتضمن التمييز العنصري والطائفي والديني والتطاول على حريات الاخرين». اما الكاتب علي حسين فقال ان اغلب رؤساء تحرير الصحف العراقية يخشون الكاريكاتير بوصفه فنا كاشفا للحقيقة اكثر من المقال.

انطباع الصورة

بعد مشاركة قوى واحزاب وتيارات دينية في الحكومة العراقية، ومع تبني سياسة تربوية اعتمدت توجه تعميم ودعم الممارسة الدينية، ومع تشكيل منظمات مدنية تابعة لتلك الاحزاب، اصبح «المزاج العراقي» منسجما مع هذا التوجه. كما لعبت وسائل الاعلام من الفضائيات الدينية دورا في توسيع نطاق مفهوم «المقدس»، وشهد الشارع هو الاخر انتشار صور الشخصيات دينية. وفي احد الاحياء الشعبية اصبحت تلك الصور اشبه بمزارات، وفرضت عليها حراسة مشددة من قبل رجال الامن لتفادي احتمال تعرضها للتشويه من قبل الاخرين. ومع غياب المظاهر المدنية من دور السينما والمسارح والنوادي، انطبعت هيمنة الديني وشرعية تلك الهيمنة في الذهنية العراقية.

الرسام احمد الربيعي وغيره من رسامي الكاريكاتور يخشون الاقتراب من حقل الالغام، فتخرج رسوماتهم خالية تماما من الشخصيات الدينية مع انها الاكثر حضورا في المجال السياسي والاجتماعي والإعلامي. مفارقة حلها في زمن الديمقراطية والحرية الذي لم يأت بعد.

احمد علاء

صحافي من العراق

حسيب الجاسم www.hassibaljassem.com

في إضراب الأطباء بمصر، حذرت الحكومة من أن الإضراب يضر بمصلحة المواطن. وفي إضراب سائقي الميكروباص حذرت من أن الإضراب يضر بمصلحة المواطن. وتصادف أن إضراب باعة عرائس «السبونج بوب»، سائقي عربات النقل العام، إضراب حرامية الغسيل والقتلة المتسلسلين، كل هذا يقوم بتعطيل مصلحة المواطن، بينما المواطن، كما هو واضح، لا ينتمي لكل هذه الفئات المذكورة.

طيب، ما هي سمات المواطن، ذلك الكائن الخفي الذي لا يراه أحد. المواطن لا يفكر في تحسين ظروفه المعيشية. أحياناً «يشكو المواطن من غلاء الأسعار»، خاصة مع قدوم شهر رمضان وفي العيدين. ماذا يفعل المواطن في هذه الحالة؟ ولا أي شيء. المواطن يحاول إيصال صوته للسادة المسؤولين. طول الوقت يحاول إيصال صوته للسادة المسؤولين، ولا صوته يصل ولا هو يتوقف عن المحاولة. حتى عندما يشكو من الإضراب، فهو لا يتدخل لإيقاف الإضراب. إنه فقط يشكو، بحزن ورقي يشكو.

المواطن شخص لم يتزوج، أكيد لم يتزوج، وأكيد أيضاً أنه لم ينجب. لم نسمع أبداً عن المواطنة، ولا عن أطفال المواطنين. هو بلا عائلة. يقف بمفرده في العالم مثل دون كيشوت ليحارب قسوة الإنسان على أخيه الإنسان. لماذا لم يتزوج المواطن، لإنه بالعقل، شخص يعاني يومياً في المواصلات بسبب إضرابات السائقين، وفي العلاج بسبب إضرابات الأطباء، وعندما يحاول الموت للخلاص من هذا العالم التعيس لا يسعفه أحد، لأن القتلة المأجورين يقومون بإضرابهم الخاص أيضاً. ومن ناحية أخرى، فإذا قرر أن يقوم بإضراب فهو هكذا يتجاوز دوره التاريخي: الشكوى من الإضراب، وبالتالي فهو لم يعد مواطناً بحسب التعريف القاموسي. كيف يُتوقع له أن يتزوج؟ المواطن شخص يحترف الحزن والانتظار. يرتقب الآتي ولا يأتي. وفي الغالب، معه أرقام تليفونات جميع الإعلاميين في بلده. يتصل بهم ليخبرهم بأية فكرة تخطر على باله. هذه هي هوايته الوحيدة.

المواطن شخص غريب الأطوار.

العربي السفير

متابعات

١٥ ألفاً هو عدد المستوطنين الإسرائيليين الإضافيين الذين استوطنوا في أراضي الضفة الغربية والقدس المحتلتين في الأشهر الماضية، ليصبح العدد الإجمالي للمستوطنين في هذه المناطق الفلسطينية ٦٠٠ ألف مستوطن، يحتلّون مساحة تناهز ٤٠ في المئة من الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية والقدس.

الجـــــــــوع عـــــــــار

قبيل الغداء أو العشاء، حين أقف في دكان الحي القريب من الجامعة لشراء شيء، أجد طلبة يشترون أطعمة بالتقسيط الشديد. يضعون في الميزان حبة طماطم، حبة بصل، بعض العجائن، قليل من الزيت في بلاستيك صغير في حجم الكف... وأحياناً يكتفي أحدهم ببيضتين. مشهد ظهرت له أبعاد جديدة حين نشرت منظمة الأغذية والزراعة «فاو»، في بداية تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١٢ تقريراً حول «انعدام الأمن الغذائي في العالم»، جاء فيه أن حوالي مليونين من المغاربة يعانون الجوع ولا يجدون ما يقتاتون به.

رد الفعل الأول في الرباط هو التكذيب والغضب من ادّعاءات المنظمة. وهذا تقليد مغربي عندما تتناول التقارير الدولية البلد. لكن عندما يكون التقرير إيجابياً فهو يحتل المرتبة الأولى في عناوين النشرة الرئيسية للتلفزيون.

في سنوات مجد اليسار في الحرم الجامعي، كان الطلبة والمثقفون ينفرون من الخوض في المسائل الخبزية. ومنبع هذا النفور هو الافتراض أن هذه المسألة تافهة ومحلولة ولا بد من تجاوزها لتناول مسائل جوهرية راقية. لكن الأمر تغير. في البرلمان، صرح رئيس الوزراء أن مغاربة كثيرين لا يجدون ما يعدّون به الحساء في رمضان. وقد عبر عن إعجابه بصبرهم. وأكد أن حكومته تخطط، حسب مشروع القانون المالي لسنة ٢٠١٣، لتقديم الدعم لثمانية ملايين فقير: ربع سكان المغرب. وفي أمر ذي صلة، صنفت الـ «فاو» المغرب كأسوأ بلد في محاربة الجوع بشمال أفريقيا.

صراع الإسلاميين والعلمانيين حول الطبيعة الافتراضية للدولة لم يخمد. وهو يطغى على الحاجات الحقيقية للناس. لذا فإن الجوع ليس موضوعاً مغرياً ليكون على الصفحات الأولى للجرائد

هذه وقائع لا مكان لها في العناوين الرئيسية لوسائل الإعلام. فما أن تعبت من الرقص لأن منتخبنا هزم الموزامبيق شر هزيمة، حتى تلقفت خبر تدمير السلفيين لنقوش أثرية عمرها ٨٠٠٠ سنة. طار وزير الاتصال برفقة فريق إعلامي للتأكد من ذلك، فنفى حصول التدمير. فالسلفيون المغاربة يتجنبون المواجهة لأنهم واثقون أنهم سيعودون للسجون في أقرب فرصة. لكن صراع الإسلاميين والعلمانيين حول الطبيعة الافتراضية للدولة لم يخمد. وهو يطغى على الحاجات الحقيقية للناس. لذا فإن الجوع ليس موضوعاً مغرياً ليكون على الصفحات الأولى للجرائد. الجوع يسبب الألم ويحط من الكرامة، والذاكرة تدفعه عميقاً للخلف لتستمتع بالنسيان.

على صفحات المندوبية السامية للتخطيط http://www.hcp.ma تتبع مستمر لارتفاع أسعار البيع بالتقسيط. وفي كل فصل تعلن المندوبية ارتفاعاً طفيفاً لأسعار الغذاء واللباس والنقل. عندما تحسب نسبة الارتفاع في السنوات الخمس الأخيرة، تجد أن الزيادات تجاوزت العُشر. وبعض السلع زادت أكثر من ٥٠ في المئة مثل الزبدة الصفراء، ومشكوك أن يكون أصلها الحليب. حتى السردين الذي يباع بالجملة بدرهم في المرسى يصل للمستهلكين في الأحياء الشعبية بأكثر من عشرة أضعاف ثمنه.

في ظل هذا الوضع، يحصل الطلبة المغاربة على منحة كل ٩٠ يوماً، وهي تساوي دولارين في اليوم. وبما أن ثمن كيلو الطماطم قد بلغ دولاراً في بلدنا الفلاحي، فإن الطالب ملزم باستهلاك تسعين كيلو طماطم كل فصل وتخصيص نصف المنحة الآخر لإيجار غرفة مع طالبين أو ثلاثة على الأقل. غرفة تكلف مئة دولار شهرياً.

للاستمرار في العيش، يجري التركيز على وجبات رخيصة، مثل قلي البيض (انتقل استهلاك المغربي من ٢١ بيضة للفرد سنوياً عام ١٩٧٠ إلى ١٢٠ بيضة للفرد سنة ٢٠١١)، وتسخين الخبز اليابس مع الزيت في مقلاة ليصير محمصاً ليسهل مضغه وبلعه مع الشاي. و«الخبز والشاي» هو وجبة الفقراء، وهذه شتيمة. ففي تعليقاتهم الانتقامية على موقع صحيفة الخبر الجزائرية، رداً على هزيمة المنتخب الجزائري أمام نظيره المغربي بـ (٤-٠)، بداية حزيران/ يونيو ٢٠١١، اتضح أن كلمات «الفقر والحشيش والجوع»، هي التي يُعرف بها الجزائريون «لمراركة» (أي المغاربة).

المغرب ليس فقيراً، مصر أيضاً ليست فقيرة، رغم الزحام في الطوابير «العيش». لكن الفوارق في الثروة رهيبة. في الحالة المغربية، ست محافظات من بين ١٦ التي يتكون منها المغرب تنتج ٦٣.٨ في المئة من الناتج الداخلي الخام. ٣٥ ثرياً مغربياً يملكون ما يعادل ١٢.٥ في المئة من حجم الميزانية العامة السنوية للمغرب.

حتى السياسة الحكومية تكرس الفوارق. فمثلا يكلف صندوق المقاصة الذي يدعم أسعار المواد الأساسية، ميزانية الدولة ٧٠ مليار درهم. وقد تأكد أن الأغنياء يستفيدون من ثلثي هذا الدعم، لأنهم يستهلكون بنزيناً وغازاً وسكراً ودقيقاً أكثر، بينما الطبقات الفقيرة لا تستفيد إلا من عشر ميزانية الصندوق. وهذا نموذج لما يسمى اللاعدالة الاجتماعية. وقد خصص المغرب ٦٠٠ مليون دولار لاستيراد سيارات في النصف الأول من ٢٠١٢. وبرغم الجوع في بلدانهم، يستمر الأثرياء العرب في شراء النوادي الأوروبية والعقارات الفاخرة في لندن (حسب تقرير حديث لشركة CBRE المتخصصة في مجال الخدمات العقارية العالمية). ومؤخراً زار ملك المغرب الخليج وحصل على مئات ملايين الدولارات للاستثمار. ولكنها لن توجه لملايين الهكتارات الصالحة للزراعة في المغرب، لن توجه لـ ٣٥٠٠ كلم من الشواطئ، لن توجه للإنتاج والمغرب على بعد ١٤ كلم من سوق الاتحاد الأوروبي. ستخصص ملايين البترودولار لبناء فنادق ومواخير ليأتي الأشقاء للمنتجعات.

وهكذا تتمركز الثروة جغرافياً في مناطق معينة وطبقياً في أيدي قليلة. لذا يتشفى المغاربة في أنسهم بالحديث عن مغرب نافع ومغرب غير نافع. وقد تفشت ظاهرة التسول بشكل رهيب في كل مكان. تجلس في مقهى ويمر عليك عشرة وأكثر. قد يقال أن ليس كل المتسولين فقراء. محتمل! لكن ذلك يدل أن الناس يذلون أنفسهم للحصول على مبالغ صغيرة، وهذا مؤشر أخطر.

التأكيد الوحيد الذي حمله الربيع العربي/ الأمازيغي للمغاربة هو أن المستفيدين نجوا من الطوفان. أمام مشهد اللاعدالة الفاحش، يكون المرء مخيراً بين أن يهاجر أو ينتحر. وبما أن برامج التقشف في أوروبا مزلزلة، وبما أنه من الصعب الهجرة بعد سن الأربعين، فكثيرون فضلوا الحل الثاني ملتوياً، أدمنوا الحشيش والخمر والقمار...

في تاريخه، عرف المغرب مجاعات ساحقة سنوات ١٧٧٦-١٧٧٩، ١٧٨٢، ١٨٦٧-١٨٦٩ و١٨٧٨-١٨٨٣... ومن نتائج تلك المجاعات ارتفاع أسعار الحبوب وموت الناس والدواب والنزوح نحو المدن والتسول والفناء من شدة الجوع، حتى قدر الناصري (في كتابه «الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى») أن نصف المغاربة ماتوا جوعاً.

لقد غيَّرت هذه الفواجع مسار تاريخ المغرب، وخلفت تلك المجاعات دروساً راسخة في الوعي الجمعي. من باب التحسر، تفتخر جدتي أنها كانت تبيع دجاجة في السوق وتتسوق وتكتفي. الآن لم يعد ثمن الدجاجة يكفي للتسوق. يحن المسنون لما يسمونه زمن الرخاء، يزعمون أن النقود صارت ملعونة لذا لم تعد فيها «بركة».

بسبب التضخم، فقدت النقود فعاليتها. المبلغ الذي كان يملأ قفة خضار صار يملأ ربعها. مع ذلك فالناس الآن متفائلون، لقد تحسنت فكرتهم عن عصرهم، وهم يؤمنون بالتقدم ولا يتوقعون إلا الأفضل، وحتى حين يمرون بمحنة يعتبرونها سحابة صيف ولن تتكرر. ويتعزز هذا التوصيف بكون الذين ينتجونه يعيشون في ظروف مريحة. لكن يبدو أن مع الأزمة التي بدأت تتعمق، والوقائع التي تتواتر، سيراجع الكثيرون صورتهم عن العصر. سيعود التشاؤم ليتسيد التصورات. وكلما أكل الناس أقل سيفكرون أكثر، وسيكتشفون أن تزايد اليأس سيساعدهم على رؤية حقيقة واقعهم المستور بغشاء الأمل.

بعيداً عن الإحصاءات، فإن تناول المتخيل في التراث الشعبي للمستقبل ليس متفائلا. تروي الحكاية أن شخصاً تفاخر أمام الناس قائلا «أكلت وشبعت»، فرد عليه أحدهم: «لا يظهر في حنكك».

الشبع لا يقال، تعكسه الوجوه، والجوع أيضاً تعكسه الوجوه، وهي تكون يابسة تميل للزرقة. حين أتأمل هذا تتجمع الدموع في عيني. فليس هناك عار أقسى من الجوع.

محمد بنعزيز

سينمائي وصحافي من المغرب

حلـــــم ..

حسن مسعودي / العراق

arabi.assafir.com

يستقبل موقع «السفير العربي» مساهماتكم وتعليقاتكم واقتراحاتكم... فراسلونا.
ـ تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي ـ Assafir Arabi
ـ تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

بـــألـــف كـلـــمـة

مـدن مـتـخـيّـلـة، مـدن مشـتـهـاة

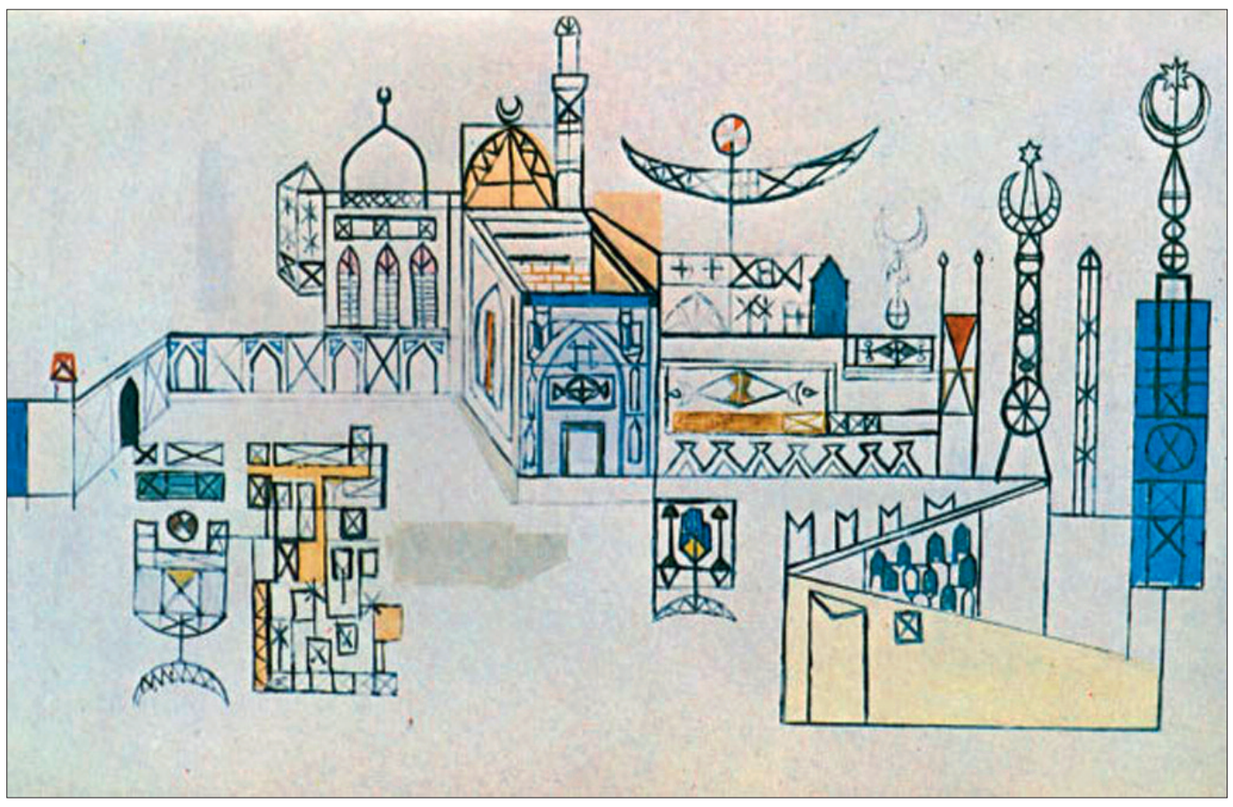

جواد سليم – العراق

نور الدين أمين – العراق

مدونات

«كـــلام»

عن فلسطين ولأجل فلسطين هي مدونة «كلام». في التدوينة الأخيرة، اقتراح لحل مشكلة البطالة. تقول مدونة «كلام» ان أحد الأسباب الرئيسية لارتفاع معدل البطالة، هو اعتماد السكان على السلطة الفلسطينية في التوظيف ما نتج عنه ما يزيد على ٢٥٠ ألف موظف حكومي (نسبة ١٢.٥ في المئة من عدد السكان). تُشجّع «كلام» على الاستثمار في المشاريع الصغيرة، في محاولة لإيجاد المخرج الأسرع لارتفاع معدّل البطالة الحادّ. دعوة لعدم التركيز الدائم على المعونات والمساعدات الخارجية فهي لن تحقق نموّاً اقتصادياً بل تزيد من حالة الارتهان. وتلفت المدونة الى الاهتمام الكبير بقضيّة المنح، التي كانت محور تدوينة منفصلة.

لا تغيب التجربة الشخصيّة عن هذه المساحة، على الرغم من عدم وجود تعريف بهوية صاحب المدونة. في تدوينة سابقة، عرض لمشاهدات من «غرفة الترحيل». عاش المدوّن ليلة واحدة في غرفة الترحيل في مطار القاهرة، وهي برأيه مشابهة تماماً للسجن.

شكل المدونة أقرب إلى الموقع الالكتروني، بفضل التبويب المنظّم. أمّا الشعار المرفوع فهو «كنت أعتقده مجرد كلام..». ويلفت حجم الزوار منذ تأسيسها عام ٢٠٠٩ وحتى الآن: ٢٩٦ ٤٧٢ زائرا.

وعلى الرغم من هذا الرقم، فان حركة التفاعل تبدو خفيفة إذا ما قيست بحجم التعليقات والنقاشات المفتوحة.

http://blog.amin.org/kalam/

«عبد نورمال»

بطريقة لافتة وفكاهية، يجيب الشاب الجزائري عبد الله عن سؤال «من أنا». يبدأ بالتأفّف من كتابة سيرته، فالعمليّة معقدة وتضجّ بأشياء كثيرة. الشاب الجزائري اليافع (مواليد ١٩٩٤) مواظب على التدوين، ولا يترك شاردة وواردة إلاّ ويعمل على تظهيرها إلى العلن عبر مدونته «abed normal». يصنّف عبد الله المدونة ضمن إطار المدونات الساخرة التي تهتم وفق رأيه «بالأشياء والعفايس التي تزعج الإنسان يومياً سواء أكانت ناموساً يمنعك من النوم أم مديراً قبيحاً يمنعك من الضحك...».

تغلب في المدونة المواضيع التي يعايشها عبد الله يوميّاً. هكذا احتلّت مؤخّراً وقائع يومه في الصف الثاني من التعليم الثانوي الهامش الأكبر. يضج من دعوة الأساتذة الدائمة للحصول على أعلى المعدلات كي لا يتمّ حرمانهم من كلية الطب أو الهندسة. ما يزعج الشاب هو صدور كلام كهذا عن مربي أجيال وأستاذة متعلمين، ويتساءل «أين الكلام عن تفاوت الميول واختلاف القدرات والمواهب». يطغى حسّ النكتة، خاصة أن عبد الله مؤمن بإمكانية العيش على المريخ، ولا يؤمن بإمكانية الحياة على الأرض.

http://www.abdnormal.com/

دخْنستان

تزوّدك مدوّنة «دخنستان» للناشط الموريتاني ناصر ودادي بمعلومة جديدة فور دخولك إليها: الاسم ليس مجرد لعب على الكلام، بل يعني موريتانيا بحسب التسمية الشعبية التي تشير إلى «شعب الدخن»، أي هؤلاء الذين لفحت الشمس أجسادهم، فأصبح لونها أسمر قاتماً. ولا يزال كثُر يسمّون موريتانيا «دخنستان».

المدوَّنة جميلة التصميم، وموادها جادّة، واهتمامات ودادي تتدرج كالتالي: موريتانيا، المغرب، فالعالم العربي «من وجهة نظر ناشط سياسي وحقوقي». ودادي، المقيم في الولايات المتحدة، يحصر اهتماماته بالمنطقة العربية وشمال أفريقيا، لذلك فهو يطلب من قرائه زيارة مدونات ومواقع أخرى في حال بحثهم عن مواد وتحقيقات صحافية وأخبار تغطّي مناطق أخرى من العالم. بينما السلبية الرئيسية لـ«دخنستان» قد تكون أن الغالبية الساحقة لموادها تتوفر باللغة الانكليزية حصراً.

مواضيع مدوّنة ناصر ودادي تفرض نفسها من ناحية أهميتها، من بينها «انتفاضة المياه في موريتانيا» وأزمة الجفاف التي تعتبر «أخطر أزمة تهدد البلاد»، وعرض لوضع المعارضة الموريتانية ضد الجنرال محمد ولد عبد العزيز، والكارثة التي تتسبب بها لموريتانيا اتفاقيات الصيد البحري، مع اهتمام صاحبها بالصور وأفلام الفيديو.

http://dekhnstan.wordpress.com/